

جامعـــة الأزهـــــر

كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد



كرامات الأولياء عند الصوفية

إعداد

د/ أشرف هاشم صديق جمعه

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥هـ يونيو ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و The Online ISSN ٢٩٧٤-٤٦٧٩



كرامات الأولياء عند الصوفية

أشرف هاشم صديق جمعه
قسم العقيدة و الفلسفة - كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية - جامعة الأزهر - مصر
الإيميل الجامعي: ashrafgomah. adv@azhar. edu. eg

ملخص البحث

الكرامات ثابتة عند الصوفية بالكتاب والسنة والإجماع. ولظهور الكرامات حكم وأسباب، حاول الصوفية التماسها والوقوف عليها، ومنها تصديق الله ـ تعالى ـ للولي في ولايته، فتكون دليلاً على أن صاحبها يسير على الجادة وأنه يسلك الطريق القويم. والكرامات نوعان: حسية ومعنوية. ووجود كل نوع من أنواع الكرامات متوقف على نوع السلوك الذي يسلكه الولي في طريقه إلى الله، فالجزاء يكون من جنس العمل، فإن كان الطريق الذي سار فيه السالك إلي ربه ـ عز وجل ـ هو كبح جماح شهواته والسيطرة على حواسه وحدها بحدود الشرع كانت الكرامات التي يجريها الله ـ تعالى ـ على يديه كرامات حسية، أما إذا سلك الولي طريقاً قلبياً يقوي به يقينه ويزيد به من خشيته لله ويصدق فيه توكله علي الله كانت الكرامات التي يجريها الله ـ عز وجل ـ على يديه كرامات معنويه. علي الرغم من كثرة الكرامات المسرودة في كتب الصوفية إلا أن غالبيتهم لا يرون وجود تلازم بين الكرامات والولاية، فتكون الكرامات ثمرة للولاية ودليل على صدقها إن

وُجدت، بينما لا يكون عدم حصولها دليل على عدم الولاية، وفى هذه الحالة لا تكون الكرامات شرطاً في الولاية، والكرامات ـ عند الصوفية ـ ليست المعيار الذي يفاضلون به بين الأولياء بعضهم البعض، فهي ليست دليل على أن الولي الذي ظهرت على يديه أفضل من غيره من الأولياء الذين لم تظهر لهم كرامات، فقد يحصل للمفضول ما لا يحصل للفاضل. وللكرامة ضوابط ـ لا بد منها لقبولها ـ هي الثبوت بالسند السليم والرواية الصحيحة، وخلوها من المخالفات الشرعية، ووقوعها في زمن التكليف.

الكلمات الافتتاحية ـ التصوف ـ خوارق العادات ـ الكرامات ـ الكرامة ـ الأولياء.



The dignity of saints according to Sufis

Ashraf Hashem Siddiq Jumaa

Department of Doctrine and Philosophy، Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Menoufia، Al-Azhar University، Egypt.

Email: ashrafgomah. adv@azhar. edu. eg

Abstract:

Karamat is established among Sufis by the Qur'an، Sunnah، and consensus. There are rules and reasons for the appearance of the Karamat، and the Sufis tried to seek and understand them، such as supporting the Muslims، and God Almighty's confirmation of the guardian in his guardianship، so they are evidence that the owner is walking on the right path and that he is following the right path. There are two types of dignity: sensory and moral. The existence of each type of karamat depends on the type of behavior that the guardian takes on his path to God. The reward is of the same type as work. If the path that the seeker takes to his Lord - the Almighty - is to curb his desires and control his senses alone within the limits of the Sharia، then the karamat that God Almighty bestows them on his hands as physical honors، but if the guardian follows a path of the heart that strengthens his certainty، increases his fear of God، and authenticates his trust in God، then the honors that God Almighty bestows on his hands are moral honors. Despite the large number of karamat listed in the books of Sufis، the majority of them do not see a correlation between karamat and guardianship، so karamat are a result of guardianship and evidence of its sincerity if it



exists، while not obtaining them is not evidence of a lack of guardianship، and in this case karamats are not a condition for guardianship. Karamat - according to the Sufis - is not the criterion by which they differentiate between saints one another. They are not evidence that the saint who appeared at his hands is better than other saints who did not appear to have miracles. The virtuous may attain what does not happen to the virtuous. Dignity has certain conditions - which are necessary for it to be accepted - which are that it is proven with a sound chain of transmission and a correct narration، that it is free from legal violations، and that it occurs within the time of obligation

key words - Sufism - Paranormal customs - Karamat - Karamah - Saints.







المقدمة

الحمد لله الذي لم يتحذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا، خلق الخلق بقدرته فهم جميعاً يتقلبون في مشيئته، فماء شاء لهم كان ومالم يشأ لم يكن.

وأصلى وأسلم على سيد الأولياء وإمام المتقين، والهادي إلى صراط رب العالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فقد اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يسير الكون بما فيه من موجودات وفق سنن ثابته وعوائد مطردة جعلها الله تعالى ـ بحوله وقدرته ـ حاكمة وضابطة لسير الحياة وانتظامها، ووجود هذه النواميس والسنن لمصلحة العباد. وكما اقتضت مصلحة العباد وجودها قد تقتضي خرقها أيضًا، لذلك وُجدت خوارق العادات فالعلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً، وكرامات الأولياء أحد هذه الخوارق. والحديث عن كرامات الأولياء عند الصوفية حديث ذو شجون، لأن الحديث عن التصوف لا يخلو من ذكر الولاية، ويلزم من ذكر الولاية ذُكر الكرامات، ونادراً ما نجد مؤلفاً لإمام من أئمة الصوفية يخلو من مبحث أو فصل عن كرامات الأولياء، ثم تجاوز الأمر المباحث و الفصول إلى وجود مؤلفات كُتب خصيصاً لسرد كرامات الأولياء، أو سرد جميع الكرامات التي ظهرت على يد ولي بعينه تحت مسمي مناقب الولي أو سيدي أو العارف فلان. وهذه المبالغة في جمع الكرامات



وسردها فتح الباب على مصرعيه أمام البعض ـ سواء من المنتفعين من مريدي الأولياء وأتباعهم أو من أعداء التصوف ـ للدس على الأولياء ما لم يصدر عنهم من الكرامات، وربما يكون من هذه الكرامات ما يخالف الشرع، وهذا من شأنه أن ينفر الناس من التصوف والمنتمين له أو يجعلهم يرفضوا الكرامات بالكلية، وهما أمرين أحلاهما مر، لذلك يجب على المهتمين لأمر التصوف وخصوصاً في أزهرنا الشريف ـ حماه الله ـ أن يولوا مسألة كرامات الأولياء عند الصوفية اهتماماً زائدا فينبهوا الناس على ما في الكتب الصوفية من مبالغات بل وافتراءات منسوبة للأولياء زوراً وبهتاناً تحت مسمي الكرامات. تماشيا مع دعوة تجديد التراث وتجديد الفكر الديني التي نادى بهذا الأزهر الشريف على لسان شيخه الإمام الأكبر الشيخ أحمد الطيب ـ حفظه الله ـ. وانطلاقا من هذا المبدأ كان اختيار الموضوع.

سبب اختيار موضوع البحث

النهوض والارتقاء بعلم التصوف، وتنقيته مما نُسب من كرامات مدسوسة علي الأولياء تخالف الشريعة وتسئ إليهم، اتخذها أعداء التصوف ذريعة للطعن فيه والتشنيع على أهله. فضلا عن كونها معول هدم في يد أعداء الإسلام.

تساؤلات البحث

مدي التوافق بين أئمة الصوفية وبين غيرهم من طوائف أهل السنة في المسائل المتعلقة بكرامات الأولياء؟

مناهج البحث

المنهج الاستقرائي: الذي يقوم على استقراء واستقصاء وتتبع كل الآراء التي ذكرها أئمة الصوفية قديماً، العلماء والباحثون في علم التصوف حديثاً حول موضوع كرامات الأولياء.

المنهج الوصفي: من خلال تناول التعاريف والمفاهيم الخاصة بموضوع كرامات الأولياء عند الصوفية.

المنهج التحليلي: الذي يقوم على تحليل وشرح الموضوعات والمسائل المتعلقة بكرامات الأولياء عند الصوفية والآراء الواردة فيها.

المنهج التاريخي: لتتبع آراء أئمة الصوفية قديماً في كرامات الأولياء.

محتويات البحث

يتألف البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة و قائمة للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

المقدمة: تناولت فيها نبذه عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلاته، والمناهج المستخدمة فيه.

المبحث الأول: تعريف الكرامات والأدلة عليها وحكمها وأسباب ظهورها.

المبحث الثاني: الفرق بين الكرامات وغيرها من خوارق العادات وأنواع الكرامات.

المبحث الثالث: رد الصوفية على منكري الكرامات.

المبحث الرابع: مدى التلازم بين الولاية والكرامات وضوابط قبولها.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث. وقد زيلتها بقائمة للمصادر والمراجع العربية وفهرس للموضوعات.



المبحث الأول: تعريف الكرامات والأدلة عليها وحكمها وأسباب ظهورها

أولاً: تعريف الكرامات

الكرامات لغةً

الكرم نقيض اللؤم [1]، وكارمه: فاخره في الكرم، وأكرمه إكراماً وكرمه تكريماً: عظمه ونزهه، والاسم منهما: الكرامة، والإكرام والتكريم: أن يوصل إلى الإنسان بنفع لا تلحقه فيه غضاضة، أو يوصل إليه بشيء شريف [2]، والكرم أيضا القلادة، يقال: رأيت في عنقها كرماً حسناً من لؤلؤ[3]، والكرامة طبق يوضع على رأس الحب والقدر.

والكريم من صفات الله تعالى وأسمائه، وهو الكثير الخير، وقيل: الجواد، وقيل: المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وقيل: هو الجامع لأنواع الخير والفضائل والشرف، وقيل: حميد الفعال، وقيل: العظيم، وقيل: المنزه عما لا يليق، وقيل: الفضول، وقيل: العزيز، وقيل: الصفوح[4].

---

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر دار صادر، بيروت الطبعة الأولى، بدون سنة الطباعة، ج١٢، ص٥١٠.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ج٣٣، ص٣٣٧. وانظر: لسان العرب ج١٢، ص٥١٠.
(٣) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، الناشر المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، صيدا الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م، ص ٢٦٨.
(٤) تاج العروس: مرتضى الزبيدي، ج٣٣، ص٣٤٧.

والذي يتضح من استخدامات اللغة للفظة الكرامة يدل على أنها خلق حسن، وأنها نعمة عظيمة من الله ـ تعالى ـ أنعم بها على عبد من عبادة حتى صارت كالقلادة على صدره أو كالعلامة على رأسه؛ فهي من إكرام الله ـ تعالى ـ لخلقه لما فيها من نفع يعود عليهم.

الكرامات اصطلاحاً

عرف الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ) الكرامة بأنها: "فعلا ناقضا للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله"(١).

وتعريف الإمام القشيري السابق كان في القرن الثالث الهجري الذى شهد ميلاد التصوف كعلم له مؤلفاته وأئمته، فهو تعريف للكرامة في اصطلاح أئمة التصوف قديماً، وعلى الرغم من مرور عشرات القرون من الزمان على هذا التعريف، إلا أن تعريف الكرامات لدى الصوفية حديثاً لم يخرج في معناه ـ وإن اختلفت بعض ألفاظه ـ عن تعريف القدماء الذين عرفوها بأنها: "أمرٌ خارقُ للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا مقدمة لها، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم بمتابعة نبي كُلّف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح علِم بها أو لم يعلم"(٢).

(١) الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى ٤٦٥هـ)، تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، الناشر دار المعارف، القاهرة، ج٢، ص٥٢٠.

(٢) جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء: أحمد فريد المزيدي، دار الكرز للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص٣٩٤. وانظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: محمد عبد الرؤف المناوي (المتوفى ١٠٣١هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ج١، ص٥.



والتعريفان السابقان للكرامة عند الصوفية ـ القدماء والمحدثين ـ كادا أن ينطبقا مع تعريف المتكلمين لها لفظاً ومعنى، فالمتكلمين قد عرفوا الكرامة بأنها: "أمر خارق للعادة من قبل ولي غير مقارن لدعوى النبوة ومقارن للاعتقاد والعمل الصالح والالتزام بمتابعة النبي"(١).

والمتأمل في تعريفات الصوفية والمتكلمين للكرامة يتبين له أنهم مجمعون على التفرقة بينها وبين غيرها من خوارق العادات ـ وخصوصاً المعجزة ـ كما أنها لا تكون إلا لعبد صالح ملتزماً بالشرع وبمتابعة النبي ـ صلى الله على وسلم ـ فهي قرينة للطاعة ومصاحبة لها. ولن أشرح هذه التعريفات أو أعلق عليها أو أخرج محترزاتها لأن الحديث سيكون مفصلاً ـ إن شاء الله .. عن كل ما اشتملت عليه من مفردات وألفاظ في مبحث عقدناه لبيان الفروق بين الكرامة وغيرها من خوارق العادات.

ثانياً: الأدلة على ثبوت الكرامات

الأدلة من الكتاب:

١- قوله تعالى في شأن السيدة مريم عليها السلام ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ**

(١) شرح المقاصد: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (المتوفى٧٩١هـ)، الناشر دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٩٨١م، ج٢، ص٢٠٣. بتصرف بسيط. وانظر: التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص١٨٤.

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. وقوله تعالى ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾[2].

يعلق الإمام القشيري (ت ٤٦٥هـ) على هاتين الآيتين مستشهداً بهما على إثبات الكرامات فيقول: "ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله سبحانه في صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبياً ولا رسولاً: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ**﴾ وكان يقول: ﴿**أَنَّى لَكِ هَذَا**﴾ فتقول مريم: ﴿**هُوَ مِنْ عِنْدِ**﴾ وقوله سبحانه: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ وكان في غير أوان الرطب"[3].

ويعلق الإمام المناوي (ت١٠٣١هـ) ـ على آية سورة آل عمرن نافياً أن يكون فيها دليل على معجزة للنبي زكريا عليه السلام، أو إرهاصاً لنبي الله عيسى عليه السلام وإنما جاءت لتثبت الكرامات للسيدة مريم عليها السلام ـ فيقول: "لو كانت معجزة لزكريا لعُلم كيفية حدوثها، وهو منتف لقوله تعالى ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ**﴾ ولأنها لو كانت إرهاصاً لعيسى لما علمت مريم من أين حصل ذلك، على أن الحوادث إنما سيقت لتعظيم حال مريم ولا ذكر فيها لزكريا ولا عيسى"[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.
(٢) سورة مريم: الآية ٢٥.
(٣) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٦.
(٤) الكواكب الدرية: محمد عبد الرؤف المناوي، ص٦.



ويستشهد أيضاً الإمام الطوسي (ت ٣٧٨هـ) بآية سورة مريم ـ على إثبات الكرامات ـ بعد ذكرها فيقول: " ومريم لم تكن نبيه"(١).

واستشهاد الصوفية بهاتين الآيتين ليس بدعاً من القول، فلقد وافق استدلالهم استدلال المتكلمين بهما على إثبات الكرامات، يقول عضد الدين الإيجي(ت ٧٥٦هـ): "وأما وقوعها ـ أي الكرامات ـ فلقصة مريم رضي الله عنها حيث ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة، وجعل هذه الأمور معجزات لزكريا أو إرهاصاً لعيسى مما لا يقدم عليه منصف"(٢).

ولقد جاء رأي أهل التفسير موافقاً لما ذهب إليه الصوفية في استدلالهم بآية سورة آل عمران على إثبات الكرامات، يقول الإمام ابن كثير(٧٧٤هـ) في تفسيره لقوله تعالى ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ**﴾: "وفيه دلالة على كرامات الأولياء"(٣)، ويقول فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ) في تفسيره لآية آل عمران: "احتج أصحابنا على صحة القول بكرامات الأولياء بهذه الآية.... تواترت الروايات به أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة

---

(١) اللمع: أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود – طه عبد الباقي سرور، دار الكتبة الحديثة، مصر، بدون رقم للطبعة، ١٩٦٠م، ص٣٩٦.

(٢) المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، الناشر دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج٣، ص٤٦٥. وانظر: شرح المقاصد: التفتازاني، ج٢، ص ٣٠٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى (٧٧٤ هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٦.



الصيف في الشتاء، فثبت أن الذي ظهر في حق مريم عليها السلام كان فعلاً خارقاً للعادة(١)"، ويقول في تفسيره لآية سورة مريم: "أنها كانت كرامات لمريم"(٢).

٢- قولة تعالى حكاية عن اصف بن برخيا: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾(٣)، فقد أحضر عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين حين طلب نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ ذلك فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾(٤)، يبين الإمام القشيري(ت ٢٥٦هـ) وجه الاستشهاد من الآية بقوله: "ومن دلائل هذه الجملة ـ أي جملة الأخبار على ثبوت الكرامات ـ نص القرآن في قصة سليمان عليه السلام حيث قال ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ ولم يكن نبياً"(٥).

واستدلال الصوفية على ثبوت الكرامة بهذه الآية أيضاً جاء موافقاً ـ كسابقتها ـ لاستدلال المتكلمين والمفسرين في هذه الآية، يقول عضد الدين الإيجي(ت ٧٥٦هـ): وقصة آصف وهي إحضاره عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة

---

(١) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ، ج٨، ص٢٠٧.
(٢) المرجع السابق: ج٢١، ص٥٢٨.
(٣) سورة النمل: جزء من الآية ٤٠.
(٤) سورة النمل: الآية ٣٨.
(٥) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٢. وانظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب الشعراني المتوفي (٩٧٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ج٢، ص٤٨٩. والتعرف لمذهب أهل التصوف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي (المتوفى: ٣٨٠هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ص٧٢.



عين ولم يكن ذلك معجزة لسليمان عليه السلام إذ لم يقرن لدعواه النبوة[1]" وجاء في التفاسير أن فيها "دليل على ثبوت الكرامة"[2].

٣- قوله تعالى ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**﴾[3]، يقول الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ): "ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله سبحانه.... وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك"[4]. وتأكيداً لكلام الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ) وغيره من أئمة التصوف في استدلالهم بهذه الآيات على ثبوت الكرامات يقول عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ) في معرض حديثه عن إثبات الكرامات: "وقصة أصحاب الكهف وهي أن الله سبحانه وتعالى أبقاهم ثلاثمائة سنة وأزيد نياما أحياء بلا آفة ولم يكونوا أنبياء إجماعا وشيء منها أي من هذه الأمور الخارقة الواقعة

---

(١) المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ج٣، ص٤٦٥. وانظر: شرح المقاصد: التفتازاني، ج٢، ص ٣٠٢.
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى ١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ج١٠، ص٢٠٠. وانظر: الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (المتوفى٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، ج١٣، ص٢٠٦.
(٣) سورة الكهف: الآيات ٩- ١٠- ١١-١٢.
(٤) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٢. وانظر: اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني ج٢، ص٤٨٩.

في تلك القصص لم يكن معجزة"[1]، ويقول الإمام فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ): "احتج أصحابنا الصوفية بهذه الآية على صحة القول بالكرامات وهو استدلال ظاهر"[2].

الأدلة من السنة

١- ما رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا

(١) المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ج٣، ص٤٦٥. وانظر: شرح المقاصد: التفتازاني، ج٢، ص ٣٠٢.
(٢) مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج٢١، ص٤٣٠.

بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلي أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون(١)"(٢).

ووجه الاستشهاد من هذا الحديث الصحيح أن فيه " الدلالة الواضحة على وقوع الكرامات بخوارق العادات، وقد أخبر ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو صادق في قوله أن ثلاثة رهط قد أووا في مبيتهم إلى غار، فانحدرت عليهم صخرة سدت الغار، فدعوا الله بصالح أعمالهم فتزحزحت الصخرة عن الغار من غير مزحزح حتى خرجوا منه، وليس التزحزح من طبعها ولا صفاتها، ولا يفعل ذلك سوى قدرة الله تعالى أكرمهم بها، فهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع ليس فيه لأهل الريب تأويل، ولا

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل، حديث رقم٢١٥٢، ج٢، ص٧٩٣.

(٢) اللمع: أبو نصر السراج الطوسي، ص٣٩٦. والرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٧.



لأهل الزيغ تبديل ولا تحويل"[١]. ويؤكد الإمام النووي (ت٦٧٦هـ) على صحة استدلال الصوفية بهذا الحديث في إثبات الكرامات فيقول في شرحه لهذا الحديث: "وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق"[٢].

٢- ما راوه البخاري من حديث عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام؟ قال الراعي قالوا نبني صومعتك من ذهب؟ قال لا إلا من طين[٣]"[٤]

---

(١) جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء: أحمد فريد المزيدي، ٤٨.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية، هـ١٣٩٢، ج١٧، ص٥٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، حديث رقم٣٢٥٣، ج٣، ص١٢٦٨.

(٤) اللمع: أبو نصر السراج الطوسي، ص٣٩٦. والرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٢.



ومما يؤكد صحة استدلال الصوفية على ثبوت الكرامات بهذا الحديث ما ذكره الحافظ بن حجر (ت٨٥٢هـ) في شرحه له حيث يقول: "وفيه اثبات كرامات الأولياء ووقوع الكرامة لهم"(١).

٣- ما رواه هبة الله بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ) بسنده عن عبد بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن عمر ـ رضي الله عنه ـ خطب يوماً بالمدينة فقال يا سارية بن زنيم الجبل من استرعى الذئب فقد ظلم، فقيل له تذكر سارية وسارية بالعراق. فقال الناس لعلي أما سمعت عمر يقول يا سارية وهو يخطب على المنبر فقال ويحكم دعوا عمر فإنه ما دخل في شيء إلا خرج منه فلم يلبث إلا يسيرا حتى قدم سارية فقال سمعت صوت عمر فصعدت الجبل(٢)"(٣).

فهذا الأثر دليل قاطع وواضح كوضوح الشمس على ثبوت الكرامة للفاروق ـ رضى الله عنه ـ بل فيه "كرامتان لعمر؛ الأولى: ما كشف له عن حال سارية، وأصحابه المسلمين وحال العدو. والثانية: بلوغ صوته إلى بلاد بعيدة"(٤).

وهذه الآثار غيض من فيض، وهى صحيحة وصريحة في إثبات الكرامات، فأصحابها لم يدعوا النبوة ومعروف عنهم سلامة الدين وصحة الاعتقاد، وكون

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت، بدون رقم للطبعة، ١٣٧٩هـ، ج٦، ص٤٨٠.

(٢) كرامات أولياء الله عز وجل: هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق أحمد سعد الحمان، الناشر دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ه، ص١٢٢.
وانظر: تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، الناشر دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ، ج٤، ص١٧٨.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف: للكلاباذي، ص٧٣.

(٤) جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء: أحمد فريد المزيدي، ص١٠٦.



هذه الأفعال خارقة للعادة أمر لا يماري فيه إلا جاهل أو حاقد، وفضلاً عما سبق من أخبار فإن صاحب اللمع قد ذكر ـ على سبيل الجملة ـ الكثير من أسماء الصحابة والتابعين ـ رضى الله عنهم ـ ممن ظهرت على أيديه خوارق وتعتبر دليل دامغ على وقوع الكرامات لهم، يقول الإمام الطوسي (ت ٣٧٨هـ): وقد رُوى عن جماعة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مثل ذلك أشياء مثل حديث أُسَيْد بن حُضير (ت٢٠هـ) وعتاب بن بشير (ت١٣هـ) ـ رضي الله عنهما ـ أنهما خرجا من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ليلة مظلمة فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج، على حسب ما رُوي في الخبر.

وحديث أبي الدرداء (ت٣٢هـ) وسلمان الفارسي (ت٣٦هـ) ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان بينهما قصعة فسبحت حتى سمعا تسبيحها، وقصة العلاء بن الحضرمي (ت٢١هـ) ـ رضي الله عنه ـ حيث بعثه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزاة فحال بينهما وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله تعالى باسمه الأعظم ومشوا على الماء كما في الخبر، وكذلك دعاؤه لما استقبل السبع.

وحديث عبد الله بن عمر (٧٤هـ) ـ رضى الله عنهما ـ حين لقى الجماعة الذين وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال: إنما يُسَلطُ على ابن آدم من يخافه ولو أن ابن آدم لم يخف شيئاً غير الله لم يسلط الله عليه شيئا يخافه... "[١].

ثم يتابع الإمام الطوسي (ت ٣٧٨هـ) سرده لأسماء ـ من وقعت لهم كرامات ـ من التابعين واصفاً إياها بالكثرة فضلاً عن ثبوتها بالرواية الصحيحة والأسانيد السليمة

---

(١) اللمع: أبو نصر السراج الطوسي، ص٣٩٧. والرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٩.



فيقول: "وقد رُوىَ أيضاً لجماعة من التابعين بالأسانيد الصحيحة كرامات وإجابات يطول ذكرها... من ذلك لعامر بن عبد القيس (ت ٥٨أو ٥٩هـ) وللحسن بن أبى الحسن البصرى(ت١١٠هـ) ولمسلم بن يسار(ت١٠٠هـ) ولثابت البناني (ت١٢٧هـ) ولصالح المري (ت١٧٢هـ) ولبكر بن عبد الله المزني (ت١٠٨هـ) ولأويس القرني (ت٣٧هـ) ولهرم بن حيان (ت١١٧هـ) ولأبي مسلم الخولاني (ت٦٢هـ) ولصلة بن أشيم (ت٧٠هـ) وللربيع بن خُثيم (ت٦٥هـ) ولداود الطائي (١٦٥هـ) ولمطرف بن عبد الله الشخير (ت٩٥هـ) ولسعيد بن المسيب (ت٩٤هـ) ولعطاء السُّليمي (ت١٤٠هـ) ولغيرهم من التابعين، قد رووا عن كل واحد من هؤلاء وغير هؤلاء كرامات كثيرة"[١].

وتأكيداً لكلام الإمام الطوسي (ت ٣٧٨هـ) يقول الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ): "وقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حد الاستفاضة، وقد صنف في ذلك كتب كثيرة"[٢].

الإجماع

أجمعت طوائف الصوفية وأئمتهم قدامى ومحدثين على ثبوت الكرامات، يقول الكلاباذى (ت٣٨٠): "اجمعوا ـ أي أئمة الصوفية وعوامهم ـ على إثبات كرامات الأولياء"[٣]. فالصوفية ـ فضلاً عن غيرهم ـ لا يسعهم إلا إثبات الكرامات أمام كثرة

(١) المصدر السابق: ٣٩٨.
(٢) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٩.
(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف: الكلاباذي، ص٧١.



الأدلة الصحيحة والصريحة "ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علما قويا انتفى عنه الشكوك"(١).

والإجماع على ثبوت الكرامات ليس حكراً على الصوفية وحسب، إنما هو لجميع طوائف "أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار(*) الأصوليين والفقهاء والمحدثين ـ رضوان الله عليهم ـ وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقاً وغرباً"(٢). وصفوة القول أن "الإجماع منعقد من المسلمين على أن للأولياء كرامات"(٣).

مما سبق ذكره من أدلة نقلية ساقها أئمة الصوفية يتضح لنا ثبوت الكرامات بما لا يدع مجالاً للشك، وهذه الأدلة كانت سبباً لانعقاد إجماعهم على ثبوتها، واللافت للنظر في استدلال الصوفية بهذه الأدلة، أنه جاء موافقاً لاستدلال المتكلمين وأقوال المفسرين والمحدثين. وهذا إن دل فإنما يدل على أن الصوفية لما كانت طائفة من طوائف أهل السنة، فلا يسعهم أن يخرجوا في استدلالهم عن الأدلة المعتمدة عندهم، فكان لزاماً علي الصوفية أن يحذوا حذوهم ويذهبوا مذهبهم فيها ولا يخرقوا إجماعهم عليها.

ثالثاً: حكم الكرامات

من المعلوم لدى العقلاء أن حكم العقل على أي أمر من الأمور إما أن يكون الوجوب أو الجواز أو الاستحالة، ومعلوم بداهة أن الكرامات ليست واجبة لعدم

---

(١) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٢.

(*) يوجد بين المتكلمين من أنكر وقوع الكرامة، وسوف يكون لنا معهم ـ إن شاء الله تعالى ـ وقفة عند حديثنا عن رد الصوفية على منكري الكرامات.

(٢) جمع المقال في إثبات كرامات: أحمد فريد المزيدي، ص١٠٤.

(٣) التصوف الثورة الروحية في الإسلام: أبو العلا عفيفي، الناشر مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، بدون رقم للطبعة، ٢٠٢٠م، ص ٢٥٦.



وجود ما يوجبها كما أنها ليست مستحيلة بدليل وقوعها. فلم يبقى إلا كونها جائزة "أما الجواز فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الممكنات؛ لأنه إن لم يكن من الممكنات، فإما أن يكون من الواجبات وإما أن يكون من المستحيلات، وباطل أن يكون من المستحيلات؛ فإن المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقلي، ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلي"(١). وفي هذا السياق يقول الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ): " فإن قيل فهل تجوزون الكرامات؟ قلنا: اختلف الناس فيه، والحق ذلك جائز فإنه يرجع إلى خرق الله تعالى العادة بدعاء إنسان أو عند حاجته وذلك مما لا يستحيل في نفسه لأنه ممكن، ولا يؤدي إلى محال آخر"(٢).

والحكم بالجواز على الكرامات يرجع إلى كونها أنه لا يترتب على وقوعها إبطال أصل من أصول الدين. يقول الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ): " ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله"(٣). وتأكيدا لكلام الإمام القشيري السابق يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق (ت١٩٤٧م): "إن الكرامة جائزة، إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال، إذ هي أمر يتصور في العقل حصوله من غير أن يؤدي إلى رفع أصل من الأصول، فواجب وصفه سبحانه

(١) لطائف المنن: ابن عطاء الله السكندري، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، طبعة دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦هـ، ص٦٤. وانظر: جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء: أحمد فريد المزيدي، ص١٨٤.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق عبد الله محمد الخليلي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص١٠٧.

(٣) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٠.



بالقدرة على إيجاده للولي وإذا وجب كونه مقدور الله تعالى فلا شيء يمنع جواز حصوله[1]".

رابعاً: أسباب ظهور الكرامات

جرت حكمة الله ـ عز وجل ـ في كونه أن يسير على وقف قوانين وسنن وأسباب جعلها مؤثرة فيه بقدرته ـ تعالى ـ على وفق علمه وإرادته وتقديره، وهذه الحكمة قد تتطلب في بعض الأحيان خرق هذه القوانين والسنن لمصلحة تعود على عباده بالنفع في دينهم أو دنياهم أو كلاهما معاً، لذلك وُجدت الكرامات وغيرها من خوارق العادات. وقد حاول الصوفية التماس هذه الحكم، والوقف على الأسباب الداعية إلى ظهور الكرامات، فوجدوها تتمثل في الآتي:

١- إظهار طلاقة القدرة الإلهية، وأنها لا تحدها الأسباب، وأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فلقد "اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يكرم أحبابه وأوليائه بأنواع من خوارق العادات.... إظهاراً لقدرة الله تعالى ليزداد الذين آمنوا إيماناً وبياناً للناس أن القوانين الطبيعية والنواميس الكونية إنما هي من صنع الله وتقديره، وأن الأسباب لا تؤثر بذاتها؛ بل الله تعالى يخلق النتائج عند الأسباب لا بها، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة"[2].

---

(١) التصوف: ماسينيون والشيخ مصطفى عبد الرازق، الناشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص٨٩.

(٢) حقائق عن التصوف: عبد القادر عيسى، دار العرفان، حلب، سوريا، الطبعة السادسة عشر، ٢٠٠٧م، ص٣٧١.



٢- نصرة للمسلمين، فتظهر الكرامات على الولي، كرؤية عمر ـ رضى الله عنه ـ أحداث المعركة، وسماع سارية صوت عمر"[١]. فالكرامات في هذه الحالة تكون بمثابة "الإمداد الغيبي القائم على مبدأ حماية الله ـ تعالى ـ للمؤمنين فيجري لهم كرامة تخلصهم من سجَان أو من قتل ظالم أو تعطيهم النصر في حرب أو غير ذلك"[٢].

٣- شدة الحاجة إليها كما في قصة الثلاثة من بنى إسرائيل الذين اووا إلى الغار، وفى هذا إجابة لدعاء المضطر إذ دعاه ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[٣] والولي أولى بالإجابة، وقد وعده الله بذلك فقال: ولن سألني لأعطينه[٤]"[٥].

٤- إقامة الحجة على العدو، كما حصل لخالد بن الوليد[١] ـ رضى الله عنه ـ وقصة أبو مسلم الخولاني الذي أُلقى في النار[٢] فأنجاه الله من النار"[٣].

---

(١) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، رسالة ماجستير بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن، ١٩٩٩م، ص١١٢.
(٢) كرامات الأولياء والأئمة: حيدر محب، بحث منشور على شبكة الأنترنت بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٧م، ص٢١.
(٣) سورة النمل: جزء من الآية ٦٢.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، حديث رقم ٦١٣٧، ج٥، ص ٢٣٨٤. والحديث بتمامه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته).
(٥) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١١٢.



٥- أن يكون ظهورها بمنزلة تصديق الله ـ تعالى ـ للولي في ولايته؛ لأنه لو لم يكن صادق في ولايته لَمَا أكرمه الله ـ تعالى ـ بظهور الكرامات على يديه، فهي "للدلالة على صدقه وفضله، ولقوة يقين صاحبها"(٤)، ويؤكد الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ) هذا المعنى فيقول: "وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إبانا حتى تفرق بين من كان

=

(١) نزل خالد بن الوليد الحيرة على أم بني المرازبة، فقالوا: احذر السم، لا تسقك الأعاجم. فقال: ائتوني به. فأتي به، فاقتحمه، وقال: باسم الله، فلم يضره. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٧٦.

(٢) أتى أبو مسلم الخولاني المدينة، وقد قبض النبي -صلى الله عليه وسلم- واستخلف أبو بكر. فحدثنا شرحبيل: أن الأسود تنبأ باليمن، فبعث إلى أبي مسلم، فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره. فقيل للأسود: إن لم تنف هذا عنك، أفسد عليك من اتبعك. فأمره بالرحيل، فقدم المدينة، فأناخ راحلته، ودخل المسجد يصلي، فبصر به عمر -رضي الله عنه- فقام إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن. قال: ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب. قال: نشدتك بالله، أنت هو؟ قال: اللهم نعم. فاعتنقه عمر، وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل. سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، ج٤، ص٩.

(٣) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١١٢.

(٤) مفهوم الكرامة الصوفية: صالح علي عبد النبي، رسالة ماجستير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الكيب الغربى، جنوب إفريقيا، ٢٠١٩م، ص٦٤.



صادقا في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه"[1].

٦- دليل على أن صاحبها يسير على الجادة وأنه يسلك الطريق القويم، فتكون من المبشرات فضلاً عن كونها دليل على سلامة الدين وصحة المعتقد، فالكرامات في هذه الحالة "تزيد يقين السالكين وتقوي اعتقادهم، وكل هذه المقاصد المباركة عائدة إلى الله ولوجه الله"[2]، وفي هذا السياق يقول الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ): "فربما يكون لهم في ظهور جنسها ـ أي الكرامات ـ قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد"[3]، وهذا السبب شديد الصلة بالسبب السابق له؛ لأن تأييد الله لعبده عندما يظهر في صورة فعل خارق يجريه الله ـ تعالى ـ على يديه يكون دليلاً له على أنه يسير في الاتجاه الصحيح، كما أنها تكون دافعاً وحافزاً على زيادة الطاعات أكثر وأكثر.

٧- جزاء على العبادة، وتكريم معجل من الله، قال تعالى﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾[4] وقال ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ**

(١) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٠.
(٢) أشرف الوسائل في تحقيق أدق المسائل: السيد محمد أبو الهدى الصيادي، تحقيق عبد الكريم سليم عبد الباسط، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ، ص٣١٣.
(٣) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٠.
(٤) سورة الأنفال: جزء من الآية ٢٩.



مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] فقد تكون الكرامة من قبيل المخرج والفرقان والرزق الذى ليس بالحسبان"[2]، يقول محي الدين عربي (ت٦٣٨هـ): " الكرامة لابد أن تكون نتيجة استقامة أو تنتج استقامة لابد من ذلك وإلا فليست بكرامة، وإذا كانت نتيجة استقامة فقد يمكن أن يجعلها الله حظ عملك وجزاء فعلك[3]".

٨- قد تكون الكرامات ابتلاء من الله لعبده فيسعد بها إن شكر، ويشقى إن أعجب وافتخر[4]، ففي هذه الحالة تكون الكرامات بمنزلة التمحيص ليقين وإيمان صاحبها، ويوضح الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ) هذا المعنى بقوله: "واعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر عليه ولا له ملاحظة فربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد"[5]. أما إذا أُعجب صاحب الكرامات بكراماته فإنها تكون من قبيل "ابتلاء الله للناس عبر استدراج شخص ضال لإظهار كرامات على يديه، وهو ما كان يسميه فريد الدين العطار النيسابوري (ت٦١٨ هـ) بالكرامات الشيطانية"[6].

---

(١) سورة الطلاق: جزء من الآية ٣، ٢.
(٢) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١١٢.
(٣) الفتوحات المكية: محيي الدين بن عربي، مطبعة الميمنة، مصر، بدون رقم للطبعة، ١٣٢٩هـ، ج٢ ص٣٧٠.
(٤) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١١٢.
(٥) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٠.
(٦) كرامات الأولياء: حيدر محب، ص٢١.

المبحث الثاني: الفرق بين الكرامات وغيرها من خوارق العادات وأنواع الكرامات

أولاً: الفرق بين الكرامات وغيرها من خوارق العادات

اتفقت كلمة الصوفية ـ موافقة لإجماع أهل السنة من متكلمين ومحدثين ومفسرين وأصوليين وفقهاء ـ على أن خوارق العادات سبعة؛ أربعة منها في الخير وثلاثة في الشر، فالتي في الخير هي: المعجزة والكرامة والمعونة والإرهاص، والتي في الشر هي: السحر(١) والإهانة والاستدراج، فهذه السبعة يجمعها مسمي خوارق العادات، والتفرقة بين هذه الخوارق تكون بالنظر إلى صاحب الفعل الخارق و الفعل ذاته وسبب وقوعه. وسوف نتناول في هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ الفروق التي أقرتها الصوفية بين الكرامات وبين غيرها من خوارق العادات.

المعجزة

المعجزة: "أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله"(٢). وجاء في اليواقيت والجواهر أن المعجزة: "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل إليهم بأن لا يظهر بينهم ذلك الخارق"(٣).

---

(١) ذهب بعض العلماء أن السحر ليس من الخوارق لإمكان معارضته بالتعلم.
(٢) التعريفات: الجرجاني، ص ٢١٩
(٣) اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني، ص٢٨٢.



وبالنظر إلى التعريفين السابقين للمعجزة ومقارنتيهما بما سبق من تعريفات للكرامة[1]؛ يتبين لنا أن هناك فروقاً بين الكرامة والمعجزة، وهذه الفروق منها ما هو متعلق بمن يُجرى الله ـ تعالى ـ على يديه الفعل الخارق وذلك راجع لاختلاف صفاتهما؛ فصحاب المعجزة نبي وصاحب الكرامة ولي، ومنها ما هو متعلق بالفعل الخارق ذاته معجزة كانت أم كرامة.

وأول الفروق ـ التي تتبادر إلى الذهن ـ بين الكرامة والمعجزة باعتبار من يظهر على يديه الفعل الخارق؛ أن صاحب الكرامة ليس بمعصوم خلافاً لصاحب المعجزة، يقول الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ): "فإن قيل: فهل يكون الولي معصوما؟ قيل: إما وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا... ولقد قيل للجنيد: العارف يزنى يا أبا القاسم؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾[2]"[3]. فصاحب المعجزة نبي، والأنبياء معصومون من كبائر الذنوب باتفاق طوائف أهل السنة سلفاً وخلفاً، بينما هم على خلاف بينهم في وقوع الصغائر من الأنبياء، ويبين هذا المعنى الإمام أبو بكر الكلاباذي (ت٣٨٠هـ) في معرض حديثه عن الفرق بين صاحب الكرامة وصاحب المعجزة حيث يقول: "هو ـ أي الولي ـ ليس بمعصوم من صغيرة ولا كبيرة فإن وقع في أحديهما قارنته التوبة الخالصة والنبي معصوم لا يجري عليه كبيرة بإجماع ولا صغيرة عند بعضهم"[4].

---

(١) ينظر: المبحث الأول.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.
(٣) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٤.
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف: الكلاباذي، ٧٥.

وثاني الفروق بين الكرامة والمعجزة أن الله ـ تعالى ـ يُجري المعجزة على يدى النبي على سبيل التحدي وتكون عن قصد منه واختيار خلافاً للكرامة. أما مسألة التحدي والقصد والاختيار عند صدور الكرامات التي يجريها الله ـ تعالى ـ على يدي الولي فكانت محل خلاف بين المتصوفة؛ فمنهم من لا يري أن الكرامة تصدر من الولي عن قصد وتحدي ومنهم من يري عكس ذلك، وقد نقل الشيخ عبد الوهاب الشعراني(ت٣٧٣هـ) هذا الخلاف في مسألة القصد والتحدي مع تأييد لرأي من ذهب إلى عدم تحدي الولي بكراماته حيث يقول: "المعجزة تقع عند قصد النبي وتحديه، وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولي، وقال بعضهم: يجوز أن تقع الكرامة أيضاً بقصد الولي، وإنما الفرق الصحيح بينهما أن المعجزة تقع مع التحدي والكرامة لا يتحدى بها الولي، وقال بعضهم: يجوز للولي أيضاً أن يتحدى بكرامته إذا رأى في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم إلى الحق"(١).

وثالث الفروق أن الأولياء لا حاجة لهم في إظهار كراماتهم، بل إن إظهارهم للكرامات قد يكون مخالفة للشرع لما قد يورثه في نفوسهم من عُجب وطلب للجاه لدى العوام، والمعجزة على عكس ذلك لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مأمورون بإظهار معجزاتهم لما فيها من تأكيد على صدق نبوتهم وإقامة للحجة على أقوامهم، يقول الإمام الطوسي (ت ٣٧٨هـ): "إن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مستعبدون بإظهار ذلك للخلق، والاحتجاج بها على من يدعونهم إلى الله تعالى، فمتى ما كتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى في كتمانها، والأولياء مستعبدون بكتمان ذلك عن الخلق، وإذا أظهروا من ذلك شيئاً للخلق لاتخاذ الجاه عندهم فقد خالفوا

---

(١) اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني، ص٤٩٣.

الله وعصوه بإظهار ذلك"(١)، ويؤكد الشيخ عبد الوهاب الشعراني **(ت٣٧٣هـ)** كلام الإمام الطوسي فيقول: "إن الرسول يجب عليه إظهار المعجزة من أجل دعواه إذا توقف إيمان قومه عليها بخلاف الولي لا يجب عليه إظهار الكرامة إنما الواجب عليه سترها، هذا ما عليه الجماعة، وذلك الولي تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو إلى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج إلى إظهار كرامة على أن يتبعه الناس على ما دعاهم إليه"(٢).

ورابع الفروق أن الكرامات التي كلما زادت ظهوراً على يدي الولي كانت من بواعث زيادة خوفه، لأنها قد تكون من قبيل الاستدراج، أما المعجزات التي يجريها الله على يد النبي ـ تعالى ـ كلما كثرت فإنها تعتبر تأكيداً من الله تعالى لنبوته "فكلما زِيدت المعجزات وكثرت، يكون ذلك أتم لمعاني الأنبياء، وأثبت لقلوبهم وكلما زِيدت الكرامات يكون وجلهم أكثر وخوفهم أشد حذراً من أن يكون ذلك من المكر الخفي والاستدراج... فكرامات الأولياء غير مأمونة المكر والاستدراج، بخلاف المعجزة فإنها مأمونة"(٣).

وأما عن الفروق بين الكرامة والمعجزة المتعلقة بذات الفعل الخارق **فأولها**: أن للكرامات حدود لا تتعداها ـ تبعاً لرأي بعض أئمة التصوف ـ لأنها دون المعجزة في الرتبة، فجمهور الصوفية قالوا أنه لا حدود لوقوع المعجزة حيث أنها عامة في جميع الأجناس والموجودات كقلب الأعيان وإحياء الموتى والإيجاد من العدم...

---

(١) اللمع: أبو نصر السراج الطوسي، ص٣٩٣. وانظر الفتوحات المكية: ابن عربي، ج٢، ص٥٥٢.
(٢) اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني ج٢، ص٤٩٣.
(٣) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١٢٤.

إلـخ، وذلـك علـى عكس الكرامـات التـي تكـون فـي بعـض الأمـور والأحـوال دون بعضـها، فكل مـا كـان معجزة لنبي لا يجوز أن يكون كرامـة لولـي، وينقل لنـا ابن خلـدون (ت٨٠٨هـ) ذلـك الـرأي فيقـول: "وفارقهـا ـ أي المعجـزة ـ عـن الكرامـة أن خـوارق النبـي مخصوصــة كالصـعود إلـى السـماء، والنفـوذ فـي الأجسـام الكثيفـة، وإحيـاء المـوتى، وتكلـيم الملائكـة والطيـران فـي الهـواء، وخـوارق الـولي دون ذلـك كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل وأمثالـه ممـا هو قاصـر عن تصـريف الأنبياء. ويـأتي النبـي بجميـع خوارقـه، ولا يقدر هو علـى مثل خـوارق الأنبيـاء. وقد قرر ذلك المتصـوفة فيمـا كتبـوه فـي طـريقتهم ولقنـوه عمـن أخبـرهم"(١). فالكرامـات ـ وفقاً لأصـحاب هذا الرأي ـ لا تكون في جميع الأجناس على عكس المعجزة، ويبين الإمـام القشـيري (ت ٢٥٦هـ) الأجنـاس التـي تقـع فيهـا الكرامـات فيقـول: "هـذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء في زمان عطش، أو تسهيل قطـع مسافة في مدة قريبـة، أو تخليص مـن عـدم، أو سمـاع خطـاب مـن هـاتف أو غيـر ذلـك مـن فنـون الأفعـال الناقضــة للعـادة. واعلـم أن كثيـراً مـن المقدورات يعلـم اليـوم قطعـا أنـه لا يجـوز أن يظهر كرامة للأولياء وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك، فمنها حصول إنسان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيوان وأمثال هذا كثير. "(٢). ويؤكد الإمام أبو بكر الكلابـاذي (ت ٣٨٠هـ) الكـلام السـابق للقشـيري ذاكـراً مـواطن كـلاً مـن الكرامـة

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق خليل شحادة، الناشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م، ص١١٩.
(٢) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٣.

والمعجزة فيقول: "وكرامة الولي بإجابة عوة وتمام حال وقوة على فعل وكفاية مؤنة يقوم لهم الحق بها وهي مما يخرج عن العادات ومعجزات الأنبياء إخراج الشيء من العدم إلى الوجود وتقليب الأعيان"(١).

جدير بالذكر أن هناك فريقاً آخر من الصوفية ذهب إلى خلاف رأى الفريق الأول الذي يرى أن ما كان معجزة لنبي لا يجوز أن يكون كرامة لولى، وأجاز هذا الفريق وقوع الكرامات في جنس ما تقع فيه المعجزات فقالوا ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ولكن بقيود وليس علي الإطلاق، وهذه القيود هي عدم استقلالية الولي عن النبي واتباع الشرع بالإضافة إلى عدم تنبيه النبي على أن هذا الفعل لن يقع من غيره، يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني **(ت٣٧٣هـ)**: "وتقدم في مبحث المعجزات تقييد قولهم ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي بما إذا أظهر الولي الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير إتباع للشرع، وبما إذا لم يقل النبي هذه المعجزة لا تكون لأحد من بعدي"(٢)، ويقول ابن عربي **(ت٦٣٨هـ)**: "إنا نشترط شرطاً وهو إن قام الولي بذلك الأمر المعجز على تصديق النبي لا جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لنبي"(٣).

وثاني الفروق بين الكرامة والمعجزة المتعلقة بالفعل الخارق هو اختلاف الفائدة المرجوة التي يثمر عنها الفعل، ففائدة الكرامات لا تكون إلا لصاحبها خلافاً

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف: الكلاباذي، ٧٤.
(٢) اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني ج٢، ص٤٨٨.
(٣) الفتوحات المكية: ابن عربي، ج٢، ص٤٧٩.

للمعجزات التي يعود نفعها على غير النبي، "فثمرة المعجزة تعود على الغير، والكرامة خاصة بصاحبها"(١).

يتبين لنا بعد عرض رأي الصوفية في الفرق بين الكرامة والمعجزة موافقتهم لإجماع أهل السنة ـ على اختلاف طوائفهم ـ فيما ذهبوا إلية من فروق بين الكرامة والمعجزة، ذكرها الإمام سعد الدين التفتازانى (ت٧٩١هـ) حيث يقول: " ثم المجيزون ـ أي لوقوع الكرامة ـ ذهب بعضهم إلى امتناع كون الكرامة بقصد واختيار من الولي وبعضهم إلى امتناع كونها من جنس ما وقع معجزة لنبي كانفلاق البحر وانقلاب العصا وإحياء الموتى قالوا وبهذه الجهات تمتاز عن المعجزات... والمرضى عندنا تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوها عن دعوى النبوة... قد يرد في بعض المعجزات نص قاطع على أن أحدا لا يأتي بمثله أصلا كالقرآن وهو لا ينافي الحكم بأن كل ما وقع معجزة لنبي يجوز أن يقع كرامة لولي"(٢). وتأكيداً على موافقة رأي الصوفية لإجماع أهل السنة في الفرق بين الكرامة والمعجزة التي ذكرها الإمام محمد بن سالم السفاريني (١١٨٨هـ) حيث يقول: "والحاصل أن الأمر الخارق للعادة فهو بالنسبة إلى النبي معجزة سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته، وهو بالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله، فالنبي لا بد من علمه بكونه نبياً، ومن قصد إظهار خوارق العادات وظهور المعجزات، وأما الولي فلا

---

(١) كشف المحجوب: أبو الحسن على بن عثمان الجلابي الهجويري، ترجمة وتعليق إسعاد عبد الهادي قنديل، الناشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ٢٠٠٧م، ج٢، ص٤٥٥.

(٢) شرح المقاصد: التفتازاني، ج٢، ص ٣٠٢.



يلزم أن يعلم بولايته ويستر كرامته ويسرها، ويجتهد على إخفاء أمره كما تقدمت الإشارة إلى ذلك كله... يجوز في الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها، ولو كقلب العصا حية وكوجود ولد من غير أب، لا بمثل ما اختص به النبي – صلى الله عليه وسلم – مثل القرآن العظيم الذي هو أعظم المعجزات وأخص الآيات. وقال قوم: الكرامات تختص بمثل إجابة الدعاء ونحوه"(١).

السحر:

السحر: "كل أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع"(٢). و هناك من العلماء من عرف السحر بأنه: "عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيُمرض، ويقتل، ويُفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه"(٣).

وتباين العلماء في تعريف السحر يرجع إلى اختلافهم في حقيقته، فمنهم من ذهب أن السحر ليس له حقيقة وإنما هو ضرب من الحيل والخدع والتمويهات، بينما ذهب غيرهم إلى أن للسحر حقيقة وأن له تأثير في الأبدان والأعيان. لذلك جمع العلماء المعاصرين بين التعاريف المختلفة في حقيقة السحر وعرفه بأنه: "أمور

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٦٩.
(٢) أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ج١، ص٥٠.
(٣) الكافي: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، ج٤، ص٦٤.

دقيقة موغلة في الخفاء يمكن اكتسابها بالتعلم تشبه الخارق للعادة، وليس فيها تحدٍّ، أو تجري مجري التمويه والخداع تصدر من نفس شريرة تُؤثر في عالم العناصر بغير مباشرة أو بمباشرة"(١).

والسحر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فدليله من الكتاب قوله تعالى ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(٢) وقوله تعالى﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾(٣).

والدليل عليه من السنة ما رواه البخاري (ت٢٥٦هـ) من حديث أم المؤمنين عائشة (ت٥٨هـ) ـ رضى الله عنها ـ قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال مطبوب، قال: من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال:

---

(١) السحر بين الحقيقة بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي: عبد السلام السكري، الناشر الدار المصرية للنشر والتوزيع، بدون رقم للطبعة، ١٩٨٩م، ص٣٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٢.
(٣) سورة الفلق: الآية ٤.



في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت"(١).

والدليل عليه من الإجماع ما ذكره الإمام النووي (ت٦٧٦هـ) في شرحه لصحيح الإمام مسلم (ت٢٦١هـ) حيث يقول: "مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة"(٢)، ويقول الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ): "ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة"(٣).

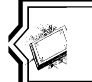
وللسحر أنواع كثيرة: منها ماله حقيقة، ومنها ما ليس له حقيقة، ومنها ما هو سحر في عرف الشرع ومنها ما هو من قبيل اللغة، وقد جاء تقسيم العلماء له على النحو التالي:

القسم الأول: - ما هو سحر في الشرع - ومنه ماله حقيقة، ومنه ما ليس له حقيقة - ومن أنواعه ما يلي:

النوع الأول: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية. ذلك أن الوهم والنفس لهما تأثير على الإنسان، وبناءً على ذلك يقوم الساحر بأقوال وأفعال مخصوصة تقوي النفس حتى تؤثر في الآخرين بقدرة الله تعالى. وهو على وجوه كثيرة تؤكد أن للوهم والنفس تأثيراً منها:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، حديث رقم ٥٤٣٠، ج٥، ص٢١٧٤.
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، ج١٤، ص١٧٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٢، ص٤٦.



أ ـ أن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجذع الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه ذلك أن توهم السقوط متى قوي أوجبه.

ب ـ قد أجمع الأطباء على نهي المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان أو الدوران لأن هذا يؤثر في نفسه فيتمادى به صرعه. كل ذلك دليل على أن التصورات النفسية التي تعرض للنفس تؤثر في صاحبها.

ج ـ التجربة والعيان شاهدان بأن هذه التصورات مبادئ قريبة لحدوث الكيفيات في الأبدان فإن الغضبان تشتد سخونة مزاجه حتى إنه يفيده سخونة قوية. وذلك دليل على أن النفوس لها تأثير في بدن صاحبها وإذا جاز كون التصورات مبادئ لحدوث الحوادث في البدن فأي استبعاد من كونها مبادئ لحدوث الحوادث خارج البدن.

د . ومما يؤكد أن النفس قد تؤثر بالآخرين الإصابة بالعين وقد اتفق النقل والعقل على ذلك.

النوع الثاني: السحر الذي يستعان فيه بالكواكب ومنه:

أ- سحر الكلدانيين وأهل بابل وغيرهم، وهؤلاء كانوا قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون أنها المدبرة للعالم وأن حوادث العالم كلها من أفعالها، ومنها يصدر كل مظهر خير وشر.

ب ـ ومنه نوع يسمى بالطلاسم: وهو عبارة عن نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب – على زعم أهلها – في جسم من المعادن أو غيرها تحدث به خاصية ربطت في مجاري العادات.



ج- ومنه: النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترابها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثير حال انفراده كما أن له تأثيراً حال اجتماعه بغيره.

هـ - ومنه النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين معتقدين التأثير، في اقتران القمر بكل منها ومفارقته وأن في تلك المقارنة أو المفارقة سعوداً أو نحساً أو تأليفا أو تفريقاً وغير ذلك.

و- ومنه ما يفعله من يستخدم الأرقام لحروف أبجد هوز.... المسمى بعلم الحرف. وهو أن يكتب حروف أبجد هوز... الخ. ويجعل لكل حرف منها قدراً من العدد معلوماً ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها

النوع الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الجن. وهم على قسمين مؤمنين وكفار وهم الشياطين.

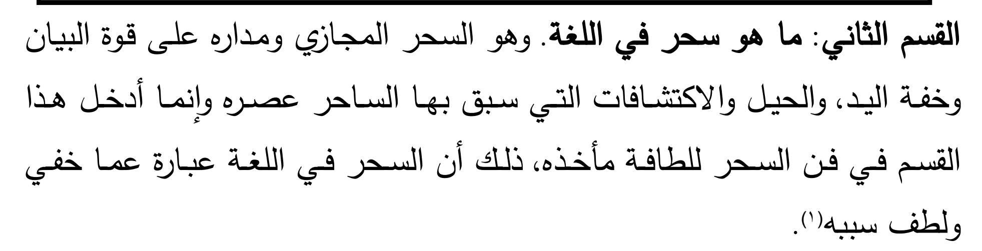
النوع الرابع: العقد والنفث فيه قال تعالى: ﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾[1] والنفاثات في العقد: هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن في كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر وذلك إذا كان المسحور غير مباشر، أما إذا كان مباشراً فينفثن عليه مباشرة.

النوع الخامس: الهِيمياء وهو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك يحصل لمن عمل له شيء من ذلك أمور معلومة عند السحرة.

النوع السادس: السِيمياء وهو عبارة عما تركب من خواص أرضية كدهن خاص أو كلمات خاصة توجب إدراك الحواس الخمسة أو بعضها بما له وجود حقيقي، أو بما هو تخييل صرف. وهذا النوع تخييلي.

---

(١) سورة الفلق: الآية ٤.

القسم الثاني: **ما هو سحر في اللغة**. وهو السحر المجازي ومداره على قوة البيان وخفة اليد، والحيل والاكتشافات التي سبق بها الساحر عصره وإنما أدخل هذا القسم في فن السحر للطافة مأخذه، ذلك أن السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه(١).

وبالنظر إلى التعريفات السابقة للسحر وأنواعه ومقارنته بما سبق من تعريفات للكرامة(٢)؛ يتبين لنا أن هناك فروقاً بين الكرامة والسحر، وهذه الفروق منها ما هو متعلق بمن يُجرى الله ـ تعالى ـ على يديه الفعل؛ لأن لكل منها حال يخالف الآخر والبون بينهما شاسع، ومنها ما هو متعلق بالفعل ذاته، ومنها ما هو متعلق بسبب وجود الفعل الخارق و بالهدف والغاية منه.

وأول الفروق المعتبرة بين الكرامات والسحر يرجع إلى من يجري الله ـ تعالي ـ على يديه الفعل، فصاحب الكرامات عبد صالح، ولي لله، حسن العمل، سليم العقيدة، مستقيم على شرع الله ملتزم بأحكامه وحدوده، أما الساحر فهو ولي للشيطان حليف له، متعد لحدود الله، فاسق جاهل كافر، "فالسحر يظهر على يد الفساق الزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة، أما الكرامة فلا تقع إلا على يد من بالغ في الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية"(٣). و ويزيد ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) هذا المعنى وضحاً بقوله "وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضاً في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر، وإنما هو

(١) حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة: عواد بن عبد الله المعتق، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٣٤، العدد ١١٥، ٢٠٠٢م، ص١٤٠ـ ١٤١ بتصرف.
(٢) سبق لنا تعريف الكرامة المبحث الأول، وسوف يأتي الحديث عن أنواعها ـ إن شاء الله ـ في المبحث القادم
(٣) اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني ج٢، ص٤٨٩.

بالإمداد الإلهي لأن طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وتوابعها. ولهم في المدد الإلهي حظ عظيم على قدر حالهم وإيمانهم وتمسكهم بكلمة الله. وإذا اقتدر أحد منهم على أفعال الشر فلا يأتيها لأنه متقيد فيما يأتيه ويذره للأمر الإلهي. فما لا يقع لهم فيه الإذن لا يأتونه بوجه ومن أتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله. ولما كانت المعجزة بإمداد روح الله والقوى الإلهية، فلذلك لا يعارضها شيء من السحر"(١).

ثاني الفروق بين الكرامات والسحر متعلق أيضاً بصاحب الفعل أيضاً، وهو مسألة القصد والاختيار عند صدور الفعل ووقوعه ـ بقدرة الله تعالي وإرادته ـ على يد صاحبه، فقد مر بنا الحديث أن الكرامات قد تقع على غير قصد واختيار من صاحبها ـ طبقا لما ذهب إليه أغلب الصوفية ـ بينما السحر على عكس ذلك "فالكرامة غالباً ما تقع من غير ما يستدعيها الولي أو يشعر بها، بخلاف السحر فإنه يقع بقصد الساحر"(٢).

ثالث الفروق بين الكرامات السحر متعلق بذات الفعل من حيث معارضته أو عدمها؛ فالسحر يمكن معارضة وتعلمه لأنه فن من الفنون يكتسب بالتعلم، خلافاً للكرامات التي "تفارقه وتتميز عنه بأنها لا يجدي فيها التعلم والتعليم ولا تمكن المعارضة لها، ولا تجامع شرة النفس، ولا تكون بمزاولة أعمال مخصوصة بخلافه"(٣). وعلى عكس السحر الحاصل بالتعلم والاكتساب فإن الكرامات هبة ومنة لا كسب فيها ألبته.

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ج١، ص٦٦٢.
(٢) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١٢٦.
(٣) الكواكب الدرية: محمد عبد الرؤف المناوي، ص٨.



رابع الفروق بين الكرامة السحر متعلق بذات الفعل أيضاً ويتمثل في الحقيقة الوجودية للفعل؛ فكثير من ضروب السحر قد لا يكون له وجود و حقيقه لأنه من الخيالات والأوهام والحيل وقد ذكرنا تقسيم العلماء للسحر وذكر أنواعه، بينما "الكرامة لها حقيقة وجودية، وليس السحر كذلك، فإن ليس له حقيقة كما تشهده العين ويظنه الرائي"(١).

خامس الفروق وآخرها بين الكرامات والسحر متعلق بالهدف والغالية من كل منهما، فالساحر لقلة خوفه من الله ـ عز وجل ـ وضعف إيمانه، وإتباعه لسبيل الشيطان، ولحبه العدوان على الغير يهدف ـ بتقدير من الله ـ من سحره إيقاع الأذى والضرر به، أو إصابته بمرض أو إحداث فرقة بينه و بين زوجه... إلخ، بينما الكرامات علي العكس من ذلك، فغايتها النفع لصاحبها أو غيره ولا تكون إلا في الخير، وقد وضحنا ذلك وفصلنا فيه القول عند حديثنا عن أسباب ظهور الكرامة.

وما مر ذكره من الفروق بين الكرامات والسحر عند الصوفية يوافق ما انعقد عليه إجماع أهل السنة من فروق الكرامة والسحر ذكرها الإمام سعد الدين التفتازانى **(ت٧٩١هـ)** حيث يقول: " السحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتتلمذ وبهدين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة وبأنه لا يكون بحسب اقتراح المقترحين وبأنه يختص ببعض الأزمنة أو الأمكنة أو الشرائط وبأنه قد يتصدى بمعارضته وببذل الجهد في

(١) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١٢٦.



الإتيان بمثله وبأن صاحبه ربما يعلن بالفسق ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن والخزي في الدنيا والآخرة"(١).

الاستدراج

الاستدراج: "ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح"(٢)، أو هو "ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكراً به"(٣).

يظهر لنا من خلال مقارنة تعريف الكرامة بتعريف الاستدراج أن **أول الفروق** بين الكرامة وبينه يكمن فيمن يجري الله ـ تعالى ـ على يديه الفعل؛ من حيث صلاح الحال أو عدمه، فالبون بينهما شاسع، وشتان بين صاحب الكرامة وصاحب الاستدراج، فصاحب الكرامة عبد صالح، على عكس صاحب الاستدراج فهو شقى غير تقى وغير مستقيم الحال يقول ابن عربي **(ت٦٣٨هـ)** "ومتى لم يكن خرق العادة عن استقامة أو منبهاً وباعثاً على الرجوع إلي الله ويرجع وليس له فيه تعمل فهو مكر واستدراج"(٤)، فصحاب الاستدراج فضلاً عن عدم استقامته علي الشرع قد يكون ساحراً أو كاهناً، وقد يكون على دين غير الإسلام. ويزيد الشيخ أحمد بن عجيبة **(ت ١٢٢٤هـ)** الأمر وضحاً فيقول: "بل قد تظهر على يد من لا استقامة له أصلاً كالسحرة والكهان، وقد تظهر على أيدي الرهبان وليست بكرامة إنما هي

(١) شرح المقاصد: التفتازاني، ج٢، ص ٢٠٦.
(٢) التعريفات: الجرجاني، ص ١٨٤.
(٣) تحفة المريد علي جوهرة التوحيد: الشيخ إبراهيم الباجوري، تحقيق د على جمعه محمد الشافعي، الناشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص٢٢١.
(٤) الفتوحات المكية: ابن عربي، ج٢، ص٥٥٤.

استدراج"(١). ولا يقتصر أمر صاحب الاستدراج على الفسق أو الكفر بل قد يتعدى حالة إلى ما هو أبعد من ذلك فيدعي الألوهية. ويذكر الهجويري (ت٤٦٥هـ) الأمثلة على من أتوا بخوارق العادات من الأفعال ممن ادعوا الألوهية موضحاً بداهة كذبهم فيقول: "اتفق مشايخ هذه الطائفة وجملة من أهل السنة والجماعة على أنه يجوز أن يظهر فعل ناقض للعادة مثل المعجزة والكرامة على يد الكافر الذي تنقطع أسباب الشبهة عن ظهورها عليه، ولا يشك أحد في كذبه، ويكون ظهور الفعل ناطقاً على كذبه. وهذا مثلما عمَّر فرعون أربعمائة سنة لم يمرض خلالها، وكان الماء يرتفع من خلفه، فعندما كان يتوقف كان الماء يتوقف، وحينما كان يسير كان الماء يسير، وأمثال هذه العلامات، ولم يشتبه أي عاقل في أنه كاذب في دعوى الألوهية وكافراً ـ لأن العقلاء يدركون بالضرورة أن الله تعالى ليس مجسماً ولا مركباً ـ ولو أن كثيراً من هذه الأفعال كانت تظهر عليه لما بقيت للعاقل شبهة في كذب دعواه. وقس على ذلك أيضاً ما يروى عن شداد صاحب ارم، وعن النمروذ من هذا النوع"(٢). وتأكيداً لكلام الهجويري السابق يقول النبهاني (ت١٣٥٠هـ): "وجوز أصحابنا ظهور خوارق العادات على يد مدعي الألوهية من غير معارضة، كما نقل أن فرعون كان يدعي الألوهية، وكانت تظهر خوارق العادات على يده، وكما نقل ذلك أيضاً في حق الدجال، قال أصحابنا: وإنما جاز

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم: أحمد بن محمد بن عجيبة، تقديم ومراجعة أحمد حسب الله، الناشر دار المعارف، بدون رقم للطبعة، ١٩٨٣، ص٣٩٧.
(٢) كشف المحجوب: الهجويري، ج٢، ص٤٥٨.

ذلك لأن شكله وخلقته تدل على كذبه، فظهور الخوارق على يده لا يفضي إلى التلبيس"[١].

ثاني الفروق بين الكرامات والاستدراج يكمن أيضاً يكمن فيمن يجري الله ـ تعالى ـ على يديه الفعل بعد ظهوره، فصاحب الكرامة لايركن لكرامته ولا يظهرها إلا لحاجة ـ كما ذكرنا ـ لشدة خوفه ووجله من سوء العاقبة والخاتمة ولعدم أمنه من مكر الله به على العكس من "صاحب الاستدراج، فإنه يأنس بذلك الذي يظهر عليه، ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقاً لها، وحينئذ يحتقر غيره، ويتكبر عليه، ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجاً لا كرامة"[٢]. و وتأكيد للمعنى السابق وترسيخاً له يقول التهانوي **(ت ١١٩١هـ)** "صاحب الاستدراج يستأنس بذلك ويظن أنّه إنّما وجد تلك الكرامة لأنّه كان مستحقّا لها فحينئذ يستحقر غيره وينكر عليه ويحصل له أمر من مكر الله وغفلة، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دلّ ذلك على أنها استدراج، فإنّ صاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يصير خوفه من الله أشدّ وحذره من قهره أقوى، وإن كان بحسب الواقع كرامة له. ولذا قال المحقّقون أكثر الانقطاع من حضرة الله ـ تعالى ـ إنّما وقع في مقام الكرامات، فلا جرم ترى المحقّقين

---

(١) جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، بدون رقم للطبعة، ١٩٩١م، ج ١، ص١٥

(٢) حقائق عن التصوف: عبد القادر عيسى، ص٢٧٢.



يخافون من الكرامات كما يخافون من أشدّ البلايا، وهذا هو الفرق بين الكرامة والاستدراج"[١].

وصفوة القول أن إجماع أئمة التصوف وعوامهم انعقد على أن "كل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو هالك مثبور"[٢]. وما ذهب إليه أهل التصوف في إجماعهم على ما بين الكرامات والاستدراج من فروق جاء موافقاً لإجماع طوائف أهل السنة الذى انعقد على أن "ما يصدر من الخوارق المؤكدة لكذب الكذابين وترهات المفترين من قبيل المكر والاستدراج والمحن والاعوجاج، وأما إذا صدرت عمن ذكر من الصالح الناصح المتابع لشرعنا القويم ودينا المستقيم فإنها تكون من الكرامات التي بها ـ أي بجوازها ووقوعها ـ نقول معشر أهل السنة من السلف والخلف"[٣].

الإهانة

الإهانة: "أمر خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق مدعي للنبوة تكذيباً له في دعواه كما وقع لمسيلمة الكذاب فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة"[٤].

أول الفرق بين الكرامة والإهانة يكمن في صاحب الفعل الخارق، فصحاب الكرامة معلوم عنه الصلاح بينما صاحب الإهانة كذاب مدعي للنبوة، لذلك كان الفعل الخارق خلافاً لدعواه وتبييناً لكذبه أمام الناس، يقول الهجويري (ت٤٦٥هـ):

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي (المتوفى: ١١٩١هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ج١، ص٧٣١.

(٢) نور التحقيق في صحة أعمال الطريق: حامد إبراهيم محمد صقر، مطبعة دار التأليف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م، ص١٣٤.

(٣) لوامع الأنوار البهية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ج٢، ص٣٩٣

(٤) تحفة المريد علي جوهرة التوحيد: الشيخ إبراهيم الباجوري، ص٢٢١.



"ويجوز أيضاً أن يظهر فعل ناقض للعادة على يد مدعي الرسالة وكاذب، فيكون دليلاً على كذبه، ويكون على يد الصادق دليلاً على صدقه، ولكن لا يجوز أن يظهر فعل يشتبه فيه شخص، لأنه حين يجوز إثبات الشبهة لا يمكن معرفة الصادق من الكاذب، وعندئذ لا يعرف الطالب من يجب عليه أن يصدقه ومن يجب عليه أن يكذبه، وعندئذ يبطل حكم النبوة"(١). والذين يتضح لنا من كلام الهجويري السابق أنه يشترط في الفعل الخارقً أن يدل على دلالة قاطعة على كذب مدعي النبوة لكي يستطيع الناس التفرقة بين الولي الصالح صاحب الكرامات وبين الكاذب ولا يشتبه عليهم أمر صاحب الفعل الخارق.

ثاني الفروق بين الكرامة والإهانة يكمن في الوجه الذي يقع عليه الفعل الخارق، فالكرامة تقع على الوجه الذي قصده الولي ـ على رأي من أجاز من الصوفية وقوع الكرامة عن قصد من الولي ـ كإجابة دعاء أو تفريج هم أو شفاء مريض... إلخ والأمثلة على ذلك تفوق الحصر، بينما الإهانة لا تكون إلا خلافاً لقصد صاحبها ليظهر الله ـ تعالي ـ كذبه كما حدث مع مسيلمة الكذاب عندما "أتته امرأة من بني حنيفة فقالت: إن نخلنا لسحق وإن آبارنا لجرز، فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهل هزمان.... فدعا مسيلمة بدلو من ماء فدعا لهم فيه، ثم تمضمض منه، ثم مج فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم فغارت مياه تلك الآبار، وخوى نخلهم، وإنما استبان ذلك بعد مهلكه. وقال له نهَّار: برك على مولودي بني حنيفة، فقال له: وما التبريك؟ قال: كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحنكه ومسح رأسه، فلم يؤت

(١) كشف المحجوب: الهجويري، ج٢، ص٤٥٩.



مسيلمة بصبي فحنكه ومسح رأسه إلا قرع ولثغ. وأتاه رجل فقال: ادع الله لأرضي فإنها مسبخة، كما دعا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسلمي على أرضه فقال: ما يقول يا نهار؟ فقال: قدم عليه سلمي، وكانت أرضه سبخة فدعا له، وأعطاه سجلا من ماء، ومج له فيه، فأفرغه في بئره، ثم نزع، فطابت وعذبت، ففعل مثل ذلك فانطلق الرجل، ففعل بالسجل كما فعل سلمي، فغرقت أرضه، فما جف ثراها، ولا أدرك ثمرها"(١).

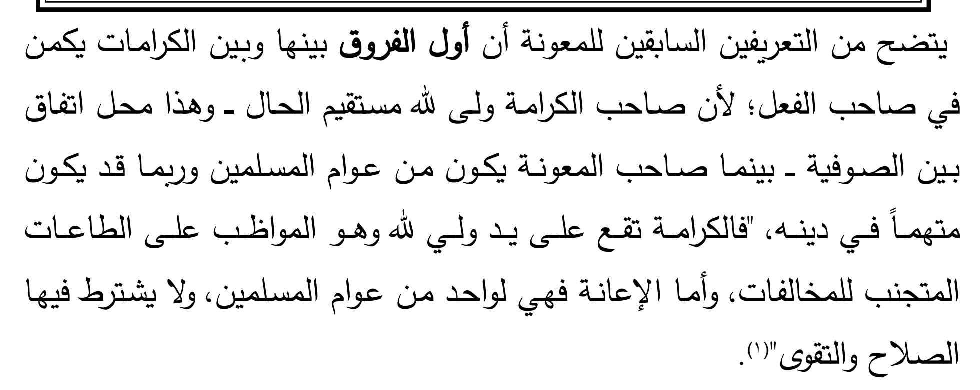
مما سبق يتبين لنا أن الإهانة تكون من الله تعالى إذلالاً وتحقيراً لصاحبها حتى يتبين كذبه ويفتضح أمره بين الناس فلا يلتبس عليهم أمره، على عكس الكرامات التي تكون تأييداً من الله لصحابها وإظهاراً لصلاحه، وهذا هو الذي اجتمعت عليه كلمة الصوفية وفقاً لإجماع أهل السنة في هذه المسألة.

المعونة

المعونة: "أمر خارق للعادة يظهره الله ـ تعالى ـ على يد عوام المؤمنين تخليصاً لهم من شدة"(٢). أو هي: "ما يظهره الله تعالى علي يد الفاسق من علامة تدل على صدقه وبراءة مما يقذف به فالمعجزات للأنبياء والكرامات والمعونات لسائر العباد"(٣).

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، الناشر دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ، ج٣، ص٢٨٤.
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي، ج٢، ص١٦٠٢، تحفة المريد علي جوهرة التوحيد: الشيخ إبراهيم الباجوري، ص٢٢١.
(٣) أصول الدين: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (المتوفى ٤٢٩هـ)، مطبعة الدولة، استانبول، تركيا، الطبعة الأولى، ١٩٢٩م، ص١٧٥. بتصرف.



يتضح من التعريفين السابقين للمعونة أن **أول الفروق** بينها وبين الكرامات يكمن في صاحب الفعل؛ لأن صاحب الكرامة ولى لله مستقيم الحال ـ وهذا محل اتفاق بين الصوفية ـ بينما صاحب المعونة يكون من عوام المسلمين وربما قد يكون متهماً في دينه، "فالكرامة تقع على يد ولي لله وهو المواظب على الطاعات المتجنب للمخالفات، وأما الإعانة فهي لواحد من عوام المسلمين، ولا يشترط فيها الصلاح والتقوى"(١).

ثاني الفروق بين الكرامات والمعونة يوجد في سبب وجود الفعل الخارق والغاية المرجوة منه، فالمعونة لا تكون إلا تخلصياً لصاحبها من محنه بصرف النظر عن صلاح صاحبها من عدمه ولا تعود بالنفع إلا عليه، بينما أسباب ظهور الكرامة ونفعها أعم من ذلك بكثير، فمن أسباب ظهور الكرامة ما يرجع إلي صاحب الكرامة ويعود عليه بالنفع، ومنها ما يرجع علي غيره، وقد فصلنا القول في ذلك(٢)عند الحديث عن أسباب ظهورها.

الإرهاص

الإرهاص: إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته. أو هوما يظهر من الخوارق عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل النبوة(٣).

والذي يتضح من تعريف الإرهاص أنه لا يكون إلا لنبي قبل بعثته، والأمثلة على إرهاصات نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفوق الحصر منها ما رواه الإمام مسلم (ت٢٦١هـ) من حديث جابر بن سمرة (ت٧٤هـ)ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول

---

(١) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١٢٧.
(٢) ينظر: أسباب ظهور الكرامة.
(٣) التعريفات: الجرجاني، ص ١٦.

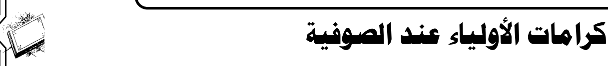


الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن"(١)، ومنها الغمامة التي كانت تظله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب(٢).

وبمقارنة تعريف الإرهاص بما سبق من تعريفات للكرامة يظهر لنا جلياً أن الفرق بين الكرامة وبين الإرهاص يكمن في صاحب الفعل، فصاحب الإرهاص نبي

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى٢٦١هـ)، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي وتسليم الحجر عليه، حديث رقم ٢٢٧٧، ج٤، ص ١٧٨٢.

(٢) خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وقد كان قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش: ما أعلمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجد إلا لنبي وإني لأعرفه بخاتم النبوة بأسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة ثم صنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا نظروا إليه وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: فبينا هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم لو رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إن هذا النبي الذي بلغنا أنه خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه ناس وإنا أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقكم فقال لهم: هل خلفتم خلفكم أحدا هو خير منكم؟ قالوا: لا إنما أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا قال: أفرأيتم أمرا أراد الله عز وجل أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا فبايعوه فأقاموا معه فأتاهم فقال: أنشدتكم بالله أيكم وليه قال أبو طالب: أنا فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت". دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعه جي و عبد البر عباس، الناشر دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص١٧٠.



ولكنه لم يبعث وقت وقوع الفعل الخارق منه، خلافاً لصاحب الكرامة الذي لا علاقة لا بدعوى النبوة.

وقد يثير هذا الفارق إشكالية لعدم وجود ما نفرق به بين الإرهاص والكرامة ـ في غير زمن التكليف[١] ـ كما في المعجزة حيث إنها مقرونة بدعوى النبوة والتحدي، بينما صاحب الإرهاص لم يدعي النبوة ولا يتحدى بالإرهاص، وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) وجه الشبه بين الكرامات والإرهاص فقال: "كرامات الأولياء، هي على التحقيق، بدايات الأنبياء"[٢].

ولكن هذه الإشكالية سرعان ما تزول عند علمنا بأن باب النبوة قد انسد وأُغلق، وختمت النبوة بنبوة نبينا ـ صلي الله عليه وسلم ـ، وهذا يعنى أن عصر الإرهاصات قد انتهي كما هو الحال في المعجزات التي انتهت بانتهاء زمن النبوة، وبناء على ذلك لم يعد الإشكال بين الكرامات والإرهاص قائماً، حيث إن باب الكرامات باقٍ إلي قيام الساعة خلافاً للإرهاص.

ثانياً: أنواع الكرامات

من المعلوم لدي العلماء قديماً وحديثاً أن الإدراك منه ما يكون حسياً ومنه ما يكون عقلياً، وبناءً على ذلك فإن المدركات منها ما هو حسي يدرك بالحواس كالسمع والبصر... ومنها ما هو معنوي لا يدرك إلا بالعقل، والصوفية عند

---

(١) سيكون لنا وقفة وحديث مفصل ـ إن شاء الله ـ عن صدور الكرامة عن الأولياء في طفولتهم عند حديثنا عن ضوابط قبول الكرامة.

(٢) المنقذ من الضلال: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، الناشر دار الكتب الحديثة، مصر، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ص١٧٩.



تقسيمهم للكرامات لم يخرجوا عن القسمة السابقة، فقسموا الكرامات إلى قسمين؛ حسية و معنويه، وسوف يكون حديثنا ـ بإذن الله وحوله وقوته ـ عن أنواع الكرامات عند الصوفية مع ذكر الأمثلة التي تدخل تحت كل قسم.

باستقراء كتب الصوفية ومطالعة ما كتبه أئمة التصوف في مؤلفاتهم ولاسيما المتعلق منها بمسألة الكرامات، نجد أنهم قد ذكروا أن للكرامات نوعين هما:

١- الكرامات الحسية

٢- الكرامات المعنوية.

ووجود كل نوع من أنواع الكرامات متوقف على نوع السلوك الذي يسلكه الولي في طريقه إلى الله، فالجزاء يكون من جنس العمل، فإن كان الطريق الذي سار فيه السالك إلي ربه ـ عز وجل ـ هو كبح جماح شهواته والسيطرة على حواسه وحدها بحدود الشرع كانت الكرامات التي يجريها الله ـ تعالى ـ على يديه كرامات حسية، أما إذا سلك الولي طريقاً قلبياً يقوي به يقينه ويزيد به من خشيته لله ويصدق فيه توكله علي الله كانت الكرامات التي يجريها الله ـ عزوجل ـ على يديه كرامات معنويه، يقول الشيخ ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) "الكرامات وخوارق العادات أما حسية أو معنوية، فيظهر عليه بحسب كل مقام يليق به على قد حاله، فمن مجاهدة البدن تظهر الكرامات الحسية، أما عن جهة العبادة الحسية كحلاوة الطاعات ولذيذ المناجاة لقوله صلي الله عليه وسلم: من غض بصره لله رزقه



عبادة يجد لذتها[1]، وإما من جهة خرق العادة الحسية كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، وطي الأرض، وتسخير السباع وجلب الطعام والماء من الغيب وغير ذلك. وعن مجاهدة النفس تظهر الكرامات المعنوية، من فهم العلوم، واتساع الفهوم، وتحقيق اليقين وشهود رب العالمين، وظهور الجلالة والمهابة إلى الخلق، لحديث: إنما يرحم الله من عباده الرحماء[2]"[3].

ولما كانت الكرامات الحسيه ناشئة عن مجاهدة العبد لحواسه وشهواتها كانت من نصيب العوام، فهي نصيبهم من الكرامات وحسب، فضلاً عن أنها قد تكون من قبيل المكر والاستدراج، أما الكرامات المعنوية الناتجة عن أعمال القلوب فلا تكون إلا للصفوة والخواص الذين هم أهل الله وخاصته، وهذه الكرامات لا يدخلها مكر أو استدراج لشدة يقين أصحابها وصدق توجههم، وفي هذا السياق يقول ابن عربي (ت٦٣٨هـ): "فالعامة ما تعرف إلا الكرامة الحسية مثل... المشي على الماء واختراق الهواء وإجابة الدعاء في الحال... فالعامة لا تعرف الكرامات إلا مثل هذا، وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله والعامة لا تعرف ذلك، وهي أن تحافظ عليه آداب الشريعة وأن يوفق لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل والحقد من صدور الناس والحسد وسوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله في نفسه

(١) لم أقف على حديث بهذا اللفظ ولكن روى صاحب حلية الأولياء حديث بلفظ قريب منه، بسنده عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من عبد يكف بصره عن محاسن امرأة ولو شاء أن ينظر إليها نظر إلا أدخل الله تعالى قلبه عبادة يجد حلاوتها. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص١٨٧.

(٢) المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون سنة الطباعة، ج٢، ص٣٢٤.

(٣) الفتوحات الإلهية: أحمد بن محمد بن عجيبة، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، طبعة عالم الفكر، القاهرة، مصر، بدون سنة الطباعة ورقم الطبعة، ص٣٧

وتفقد آثار ربه في قلبه ومراعاة أنفاسه في خروجها ودخولها... فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا يدخلها مكر ولا استدراج بل هي دليل على الوفاء بالعهود وصحة القصد والرضي بالقضاء في عدم المطلوب ووجود المكروه، ولا يشاركك في هذه الكرامات إلا الملائكة المقربون وأهل الله المصطفون الاخيار، وأما الكرامات التي ذكرنا أن العامة تعرفها فكلها يمكن أن يدخلها المكر الخفي"(١).

والكرامات المعنوية أفضل من الكرامات الحسية عند الصوفية، لأنها لا تُنال إلا لمن رسخت قدماه في الطاعة، فتكون علامة علي صدق السريرة وصلاح السر ودليل على طهارة القلب وتخليته مما يشغله عن السير على الجادة واتباع الشرع، ويوضح الشيخ ابن عطاء الله (ت ٧٠٩هـ) هذا المعنى بقوله: "وكرامات هي عند أهل الله أفضل منها وأجل وهي الكرامة المعنوية: كالمعرفة بالله، والخشية له، ودوام المراقبة له، والمسارعة لامتثال الأمر ونهيه والرسوخ في اليقين ودوام الثقة به، وصدق التوكل عليه. إلى غير ذلك.

وقد سمعت شيخنا أبا العباس (ت٦٨٦هـ) ـ رضي الله عنه ـ يقول الطي على قسمين: طي أصغر وطي أكبر. فالطي الأصغر لعامة هذه الطائفة أن تطوي لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفس واحد، والطي الأكبر طي أوصاف النفس"(٢).

ولقد حازت الكرامات المعنوية شرفها وارتفعت منزلتها عن الكرامات الحسية لما فيها من استقامة للباطن والظاهر معاً، فصلاح السر يقتضي صلاح الظاهر، يقول أحد الباحثين: "وأما الكرامة المعنوية فهي التي بين الخواص من أهل الله وهي أجلها وأشرفها، والمقصود بها استقامة العبد مع ربه في الظاهر والباطن سواسية وكرامات أولياء الله وخرق عوائدهم في بواطنهم لا في ظواهرهم"(٣).

---

(١) الفتوحات المكية: ابن عربي، ج٢، ص٥٥٠.
(٢) لطائف المنن: ابن عطاء الله السكندري، ص٦٦.
(٣) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١١٥.

ويبين الإمام القشيري (ت٤٦٥هـ) أن الكرامات المعنوية هي أجل الكرامات لما فيها من مداومة على الطاعة ومجانبة للمعاصي حيث يقول: "وأعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والمخالفات"(١).

ولقد اتفقت كلمة أئمة التصوف على أن الكرامات الحسية هي حظ النفس للعوام خلافاً للكرامات المعنوية التي هي مطلب الشارع ومراده، وقد تنبه إلي ذلك أرباب الفطن وصفوة السالكين إلى الله من أئمة الصوفية فطلبوها وحثوا غيرهم على طلب الاستقامة التي هي سبب للكرامات المعنوية ولأنها أصل كل خير فضلا عن كونها مراد الخالق من خلقه، يقول أبو علي الجوزجاني (ت ٣٢٨هـ): "كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة"(٢).

سبق القول أن الكرامات المعنوية تعني الاستقامة على الشرع، وهذه الاستقامة نابعة من باطن الإنسان وسريرته، وهي تتجلى في طهارة القلب وسلامته من الغل والحسد وسوء الظن ومساوئ الأخلاق وكل صفة مذمومة، لذلك فإن الكرامات المعنوية لا يحيطها بها الحصر ولا يصلح لها تقسيم، خلافاً للكرامات الحسية التي قسمها بعض أهل العلم على سبيل الإجمال إلى قسمين عامين يندرج تحتهما كل أنواع الكرامات الحسية هما:

١- قسم من باب العلوم والمكاشفات.
٢- قسم من باب القدرة والتأثيرات.

فما كان من باب العلوم والمكاشفات " فإنه يحصل للإنسان به من العلوم مالا يحصل لغيره مثل ما ذُكر عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن الله أطلعه على ما بطن زوجته ـ الحمل ـ أعلمة الله أنها أنثى(٣)... وأما القدرة والتأثيرات:

(١) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٥٢٦.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٧.
(٣) روي اللألكائي بسنده عن "عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: إن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ نحلها جذاذ عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله =

فمثل ما وقع لمريم ـ عليها السلام ــ من هزها لجزع النخلة وتساقط الرطب عليها، ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب، حين قال لسليمان ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(١)"(٢).

وعن أنواع الكرامات الحسية تفصيلاً فلا يكاد يخلو منها كتاب من كتب أئمة التصوف أو حتى عوامهم، فكتب الصوفية مشحونة بكرامات الأولياء، مما جعل بعضهم يخصص مؤلفات ـ موسومة بهذا الاسم ـ جمع فيها كل ما طرق سمعه أو وقعت عليه عينه من كرامات للأولياء على سبيل العموم. وهناك من جمع كرامات لولي بعينه ووسم كتابه باسم مناقب هذا الولي، والأمثلة على كلا النوعين كثيرة وتفوق الحصر.

ولقد ذكرا كلاً من عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ) في كتابة نشر المحاسن(٣)، ومحمد عبدالرؤوف المناوي(ت١٠٣١هـ) في كتابه الكواكب الدرية(٤)

=

يا بنية ما من الناس أحب إلي غنى بعدي منك ولا أعز علي فقرا منك، إني كنت نحلتك جذاذ عشرين وسقاً فلو كنت جذذتيه واحتزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله عز و جل، قالت عائشة: يا أبة لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية. قال الشيخ الحافظ المصنف: هذه كانت زوجة أبي بكر وهي حبيبة بنت خارجة بن زيد من بني زهير من بني الحارث بن الخزرج وكانت حاملاً حين توفي أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فولدت بعده أم كلثوم فتزوجها طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنهم ـ فصدق الله ظن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بما قاله وجعل ذلك كرامة له فيما أخبر به قبل ولادتها وأنها أنثى وليست بذكر". كرامات أولياء الله عز وجل: هبة الله بن الحسن اللالكائي، ص١١٨.

(١) سورة النمل: جزء من الآية ٤٠.

(٢) كرامات الأولياء مفهومها ووقوعها: عبد الله بن أحمد بن عبد الله الغامدي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٦٠، ٢٠١١م، ص١٥٥.

(٣) ينظر: نشر المحاسن الغالية في فضائل المشايخ الصوفية: عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص١٤وما بعدها

(٤) ينظر: الكواكب الدرية: محمد عبد الرؤف المناوي، ص١٣ ومابعدها.



أكثر من عشرين نوعاً من أنواع الكرامات الحسية، وذكرا تحت كل نوع منها الأمثلة عليه مما أجراه الله تعالى على يد أوليائه من الكرامات، وسوف أذكر أنواع الكرامات علي سبيل الإجمال حتى تتم الفائدة ويتضح المعنى، دون ذكر للأمثلة خوفاً من الإسهاب. وهذه الأنواع هي:

١- إحياء الموتى. ٢ـ كلام الموتى. ٣ـ انفلاق البحر وجفافه. ٤ـ انقلاب الأعيان. ٥ـ العلم ببعض الحوادث قبل وجودها والاطلاع على ضمائر الخلق. ٦ـ انزواء الأرض. ٧ـ انفجار الماء. ٨ـ كلام الجمادات والحيوانات. ٩ـ إبراء العليل. ١٠ـ طاعة الأشياء. ١٢، ١١ـ طي الزمان ونشره. ١٣ـ إجابة الدعاء. ١٤ـ الصبر على عدم الطعام والشراب الأمد الطويل. ١٥ـ التصريف. ١٦ـ التطور بأطوار متخلفات وأشكال متباينات. ١٧ـ قصم الله ـ تعالي لمن يريد بهم سوءا. ١٨ـ الهيبة. ١٩ـ الحفظ عن الحرام أن يدخل الجوف. ٢٠ ـ رؤية الأماكن البعيدة من وراء الحجب.

مما سبق يتبين لنا أقسام الكرامات وأنواعها عند الصوفية. ولقد وافق ما ذهب إليه الصوفية من الأجناس التي تقع فيها الكرامات ما ذكره الإمام تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ) في طبقاته، حيث إنه عقد فصلاً عن الكرامات ذكر فيه أنواع الكرامات والأجناس التي تقع فيها فكانت خمسة وعشرون نوعاً(١)، وهذه الأنواع مطابقة لأنواع الكرامة التي ذكرها أئمة التصوف لا تخالفها في شيء.

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ج٢، ص٣٣٨.



المبحث الثالث: رد الصوفية على منكري الكرامات

مر بنا الحديث أن الإجماع منعقد ـ من جماهير الصوفية وغيرهم من طوائف أهل السنة ـ على إثبات كرامات الأولياء، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه يوجد مع كل إجماع من يخرقه ويخالفه، وبالنظر إلى من يخالف هذا الإجماع نجد أنهم آحاد، سواء من طوائف أهل السنة أومن غيرهم، فقد وُجد من المتكلمين أو الفقهاء بعض أفراد مذهبهم هو إنكار وقوع الكرامات، معتمدين في ذلك على أدلة عقلية جاء استدلالهم بها مخالف لما عليه الجمهور، أو أدلة نقلية كان استشهادهم بها على غير وجهها. وقد يتبادر إلي الذهن سؤال مفاده لماذا يُلتفت إلى آراء المنكرين للكرامة على الرغم من أنهم آحاد أو أفراد معدودة؟ والإجابة: أن للتصوف أعداء في كل زمان ومكان، وهؤلاء الأعداء لا يتوانوا عن تلقف مثل هذه الآراء الفردية والعمل علي ذيوعها بين العوام للنيل من التصوف وأهله، لذا يجب تفنيد مثل هذه الآراء والرد عليها ودحضها. وسوف نعرض في هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ المنكرين للكرامات و شبههم التي بنوا عليها رفضهم لظهور الكرامات، كما سنذكر أيضاً ردود أهل التصوف عليهم.

أولاً: المنكرون للكرامات:

إذا أخذنا في الاعتبار وجود من ينكر الكرامات فإن تقسيم الناس بصدد قبول الكرامات من عدمها سيكون قسمين؛ مثبتين ومنكرين، والمنكرون ليسوا سواء في الإنكار "فالناس في إنكار الكرامات مختلفون، فمنهم من ينكر الكرامات مطلقاً،



وهؤلاء أهل مذهب معروف عن التوفيق مصروف، ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه، ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه"(١).

والناظر في كلام اليافعي (ت٧٦٨هـ) السابق يدرك من الوهلة الأولي أنه يقصد بقوله: (أهل مذهب معروف) المعتزلة.

ولابد لنا وقفة مع هذا الكلام، لأنه قد شاع وذاع بين أهل العلم أن المعتزلة ينكرون كرامات الأولياء إلى درجة أنه لا يذكر إنكار الكرامات إلا وقُرن بكلمة المعتزلة أو أهل الاعتزال، وعند التحقيق والتدقيق والنظر في كتب المعتزلة أنفسهم نجد أن تعميم إنكار المعتزلة لكرامات الأولياء أمر مجانب للصواب.

وبمطالعة كتب المعتزلة أنفسهم نجد خلاف ما أُشيع عنهم، فنرى أن إنكار الكرامات ليس مذهب المعتزلة قاطبة. فمنهم من يثبتها ومنهم من ينفيها، ويبين تقي الدين النجراني المعتزلي (ت٦٥٦هـ) مذاهب الناس عامة والمعتزلة خاصة في إثبات الكرامات فيقول: "اختلف الناس في هل يجوز ظهور خوارق العادات في غير الأنبياء. اتفق المسلمون وأكثر أهل الأديان أنه يجوز ظهور خوارق العادات من الله تعالى في غير الأنبياء تصديقاً لهم في دعواهم النبوة واختلفوا في جواز ظهورها إرهاصاً لهم وهي المعجزات التي تظهر على من يدعي من بعد النبوة قبل أن يدعي، واختلفوا في ظهورها على عكس من دعواهم زيادة في التكذيب، وكذا اختلفوا في جواز ظهورها على الأولياء من دون دعوى إكراماً لهم، فذهب أبو هاشم (ت٣٢١هـ) وقاضي القضاة (ت٤١٥هـ) إلي المنع من جواز ظهورها عليهم

(١) روض الرياحين في حكايات الصالحين: عبد الله بن أسعد اليافعي، مكتبة زهران، القاهرة، بدون رقم للطبعة، وبدون سنة الطباعة، ص٣٧

في هذه المقامات الثلاثة، وذهب سائر الشيوخ إلى جواز ذلك من أهل العدل. وأما سائر الفرق من غير أهل العدل ذهب الأكثر منهم إلى جواز ذلك كأهل السنة والمرجئة والكرامية، والشيعة، وأهل الحديث وغيرهم إلي جواز ذلك وذهب أبو بكر بن الإخشيد (ت٣٢٦ه) من أصحابنا إلى جواز ذلك عقلاً وزعم أن دلالة سمعية منعت ذلك في ديننا، وذهب شيخنا أبو الحسين البصري (ت٤٣٦هـ) وركن الدين محمود الخوارزمي (ت٥٣٦ه) إلي جواز ذلك عقلاً وأنه لا مانع يمنع من ذلك لا عقلاً ولا سمعاً، وهو الذي نختاره نحن في هذه المسألة والحجة لنا في ذلك ما نطق به الكتاب من ظهور الخوارق على مريهم عليها السلام مع أنها ما كانت نبيه، وكذلك على أصحاب الكهف مع أنه ما كانوا أنبياء"[١].

كلام تقي الدين النجراني(ت٦٥٦ه) السابق يبين أن إجماع المعتزلة ليس منعقداً على إنكار الكرامات؛ فمنهم من يثبتها بالكلية ـ موافقاً لرأى الصوفية وغيرهم من طوائف أهل السنةـ كأبي الحسين البصري (ت٤٣٦هـ) وركن الدين محمود الخوارزمي (ت٥٣٦ه) بالإضافة إلى تقي الدين النجراني (ت٦٥٦ه) وأبو الهذيل العلاف (ت٢٣٥ه) وعباد الصيمرى(ت٢٥٠هـ)[٢] وغيرهم، ومنهم من يذهب إلى رفضها ومنع ظهورها بالكلية كأبي هاشم (ت٣٢١هـ) والقاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) ويضاف إليهم جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ومنهم يرى جوازها

(١) الكامل في الاستقصاء فيما بلغنا من كلام القدماء: مختار بن محمود العجالى الشهير بتقي الدين النجرانى، تحقيق د/ السيد محمد الشاهدة، الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٩٩٩م، ص٣٥٤.

(٢) أبكار الأفكار: سيف الدين الآمدى، تحقيق أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٣م، بدون رقم للطبعة، ج٤، ص٥٩.

عقلاً ولكن لا يوجد عليها دليل من الشرع كأبي بكر بن الإخشيد(ت٣٢٦هـ). إذن المعتزلة انقسموا إزاء ثبوت الكرامات إلى ثلاثة فرق:

الفريق الأول: وهو الذين منعوا ظهور خوارق العادات على غير الأنبياء سواء كان إرهاصاً أو كرامة أو إهانة، ويمثل هذا الفريق أبو عبد الله البصري وأبو إسحاق بن عياش وأبو هاشم الجبائي (ت٣٢١هـ) والقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني(ت٤١٥هـ).

الفريق الثاني: وهم الذين ذهبوا إلى جواز ظهور خوارق العادات على غير الأنبياء سواء كان كرامة أو إرهاصاً أو إهانة، ويمثل هذا الفريق كثير من المعتزلة من أمثال أبو الهزيل العلاف (ت٢٣٥هـ) وعباد الصيمري (ت٢٥٠هـ) وأبو الحسين البصري(ت٤٣٦هـ) وركن الدين الخوارزمي(ت٥٣٦هـ)... وكثير غيرهم وهؤلاء قد استدلوا على صحة ما ذهبوا إليه بالنقل ـ ممثل فيما ثبت في القرآن الكريم وما تواتر من الأخبار والآثار ـ والعقل ـ ممثل في نقد الخصم والرد على ما أُثير من شبهات وما يثار من اعتراضات فضلاً عن أدلتهم العقلية التي تفيد اليقين في إثبات الكرامة للصالحين.

الفريق الثالث: وهم الذين ذهبوا إلى أنه ليس هناك مانع عقلي يمنع من ظهور الخارق للعادة على غير الأنبياء إلا أن الدلالة السمعية هي التي تمنع من ذلك ويمثل هذا الفريق أبو بكر بن الإخشيد(ت٣٢٦هـ) ومن تبعه في المذهب. إذن فالذين منعوا وقوع الخارق للعادة علي الأنبياء والتي من جملتها الكرامة آحاد من المعتزلة [١].

(١) كرامات الأولياء عند المعتزلة: د/ راشد محمد راشد سليمان، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد السادس والعشرون، ٢٠٠٧م، المجلد الأول، ص٣٤.



فهذه النصوص تؤكد أن المنكرين للكرامات من المعتزلة ليس الجمهور وإنما بعضهم، ويضاف إلى المنكرين من المعتزلة الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني (ت٤١٨هـ) وأبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي(ت٤٣٠هـ)من الأشاعرة، وابن حزم(ت٤٥٦هـ) من الفقهاء.

ثانياً: الرد علي شبهات المنكرين

الشبهة الأولى: وجود الفعل الخارق لا يكون إلا لإقامة الدليل علي صدق مدعي النبوة ولا يكون لغير نبي، ولو وجد لغير النبي لما أمكن التفرقة بين النبي وغيرة، ويقرر القاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ)هذه الشبهة بقوله: "ذكر شيخنا أبو هاشم (ت٣٢١هـ) ـ رحمه الله ـ في كثير من كتبه أن الأعلام إنما تدل على النبوات عن طريق الإبانة والتخصيص، لا على الوجه الذي تدل على سائر الأدلة؛ لأنها يجب أن تحصل وتدل على نبوته؛ ولا يجب ذلك في سائر الأدلة"(١)، ويعلق تقي الدين النجراني المعتزلي (ت٦٥٦هـ) على ما نقله القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) عن شيخه أبي هاشم (ت٣٢١هـ) بقوله: "اختلف متابعوه تغير هذه الجملة. فذهب بعظهم إلى أن المراد به: أن المعجز مهما حسن ظهوره وحصل مدلوله وهو النبوة وجب ظهوره فباين سائر الأدلة، فإن سائر الأدلة لا يجب ظهورها عند وجود مدلولها... وإذا أثبت أنه يدل بطريق الإبانة على هذا التعبير، وهو أنه يجب ظهور المعجز على النبي. فواجب ألا يجوز ظهور الخارق على الصالحين، لأنه لو جاز

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق الدكتور محمود الخضير والدكتور محمود قاسم، مراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، وإشراف الدكتور طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ج١٥، ص٢١٧

ظهوره عليهم لوجب ظهوره عليهم، ولما لم يجب ظهورها عليهم علمناً أنه لا يجوز ظهوره عليهم، وذلك كالتلازم بين العلم والأحكام. ومنهم من ذهب إلى أن الإبانة عبارة عن أن المدعي للنبوة إن ظهر فيه المعجز فإنه ثبت صدقه، وإن لم يظهر عليه فإنه يظهر ويثبت كذبه، ولو جعلنا مدلوله غير النبوة من الصدق والصلاح لزم من عدم ظهوره عدم الصدق والصلاح حتى إن كل من أخبر عن شيء ولم يظهر المعجز وجب أن نقطع بكذبه وذلك باطل فثبت أن مدلوله ليس إلا النبوة. وذهب القاضي عبد الجبار إلى أن الإبانة عبارة عن أن التمييز وذلك بكون المعجز مميز للنبي عن غير النبي وجرى ذلك مجرى الفعل المحكم الذي يميز العالم ممن ليس بعالم فلما لم يجز أن تدل صحة الفعل المحكم على غير صفة العلم فذلك لا يجوز أن يدل المعجز على غير النبوة فلم يجز ظهوره على غيره"[(١)].

ويرد علي هذه الشبهة: بأن ما ذكرنا آنفاً من فروق بين الكرامات والمعجزات المتعلقة بمن يجري الله ـ تعالى ـ علي يديه الفعل الخارق كاف لنقض كلام القاضي عبد الجبار وشيخه ومن نهج نهجهما، هذا علي سبيل الإجمال، أما على سبيل التفصيل؛ فإن "حصول الكرامة على يد الولي لا يقدح بالمعجزة ولا يحدث لبساً فيها، لأن من شروط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشروط لا تكون معجزة، وأحد تلك الشروط دعوى النبوة، والولي لا يدعي النبوة، بل الكرامة مقرونة بالانقياد للنبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ وتصديقه والسير علي طريقه"[(٢)].

---

(١) الكامل في الاستقصاء: تقي الدين النجراني، ص ٣٥٥-٣٥٦.
(٢) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١٠٦.

إن إثبات الكرامات لا ينفى وجود الفارق بين النبي صاحب المعجزات والولي صاحب الكرامات، فالأصل في النبوة أنها تكون باصطفاء الله للنبي وإرساله إلى غيره من الناس سواء قرنت بخارق للعادة أم لا، وتعلق الفعل الخارق بالنبوة يكون لإقامة الحجة على المنكرين للنبوة "قال أبو بكر الوراق: النبي لم يكن نبيا للمعجزة وإنما كان نبياً بإرسال الله ـ تعالى ـ إياه ووحيه إليه، فمن أرسله الله وأوحى إليه فهو نبي كانت معه معجزة أو لم تكن ووجب على من دعاه الرسول الإجابة له وإن لم يره معجزة وإنما كانت المعجزات لإثبات الحجة على من أنكر ووجوب كلمة العذاب على من عاند وكفر وإنما وجبت الإجابة للنبي بدعوته لأنه يدعوه إلى ما أوجب الله عليه من"(١).

الشبهة الثانية: إن الكرامات لم تظهر ولم يجريها الله ـ تعالي ـ على يد أحد من خلقه، ولو ظهرت لكان السلف الصالح هم أولى الناس بها ولنقل إلينا بالتواتر وتقرير الشبهة كما ذكرها القاضي عبد الجبار(ت٤١٥هـ) "لو كانت تظهر ـ أي الكرامات ـ على الصالحين لكانت بأن تظهر على السلف الصالح من أكابر الصحابة أولى بأن تظهر على غيرهم ممن لا يشك في حالهم وثبت بتواتر الأخبار أنها لم تظهر عليهم؛ لأن القوم لم يدعوا ذلك فيهم"(٢).

ويرد علي هذه الشبهة: بأن القول بعدم ظهور الكرامات على سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ أمر يشهد الواقع بعدم صحته، فكتب السنة الصحيحة صريحة في ذكر الكثير من الكرامات المتواترة التي أكرم الله بها سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ.

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف: الكلاباذي، ص٧٢.
(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، ج١٥، ص٢٤١.



ولنفترض جدلاً أن بعض أخبار ما وقع للسلف من كرامات هي أخبار آحاد، فمجموع هذه الأخبار يبلغ بها مبلغ التواتر المعنوي وبها يثبت وقوع الكرامات، وقد مربنا الحديث عند ذكر الأدلة من السنة على وقوع الكرامات أن الإمامين الطوسي (ت ٣٧٨هـ) والقشيري (ت ٢٥٦هـ) ذكرا الكثير من أسماء حصلت لهم الكرامات من الصحابة والتابعين، وكل هذه الكرامات ثابتة لهم بروايات صحيحة السند. ويصف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) الكرامات التي وقعت للصحابة بالكثرة فيقول: "وقد كان الصّحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظّهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنّهم لم يقع لهم بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ــ رضي الله عنهم ــ كثير منها. وتبعهم في ذلك أهل الطّريقة"(١).

ولنفترض فرضا جدلياً آخر مفاده أن الكرامات لم تقع لسلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ فهذا لا يصلح دليل على إنكار وقوع الكرامات، لأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن اتبع سبيلهم قد بلغوا مبلغاً من اليقين لا يحتاجون معه ما يزيدون بيه إيمانه أو يكون له أمارة على سلوكهم الصراط المستقيم لذلك لم يقع لهم بها عناية ـ على حد تعبير ابن خلدون(ت٨٠٨هـ)ـ، أما من جاءوا من بعدهم فهم خلاف ذلك، فقد تقع لهم الكرامات لبيان أنهم علي الجادة وتكون حافزاً لهم على لزومها. يقول النبهاني (ت١٣٥٠هـ): "ولأجل أنها ثبيت لمن أظهرت له ـ يقصد الكرامات ـ ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم، وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم، إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ واليقين، والقوة والتمكين، لا يحتاجون معه إلى مثبت، وهكذا كان السلف رضى الله عنهم، لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى إلى ظهور الكرامات الحسية، لما أعطاهم من المعارف الغيبية، والعلوم الإرشادية، ولا يحتاج الجبل إلى مرساة "(٢). و تأكيداً للمعنى السابق قال اليافعي(ت٧٦٨هـ): "فهذه الكرامات من الكشف وغيره أنوارٌ، والأنوار إنما يظهر حسن بهائها في الظلمة، فأما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكلُّهم أنوار ليس فيهم ظلمةٌ؛

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ج١، ص٦١٤+.
(٢) جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني، ص٣٥.

لتوهُّج ضياء شمس النبوّة عليهم، وكمال محاسنهم، ثم إن الشمس إذا غربت تظهر الظلمة عقيب غروبها ولا تظهر إلا الكواكب الكبار، فكلما تغرب عن الافق تكثر الظلمة، فتظهر سائر الكواكب إلى أن يظهر فجر الوعيد، وأيضا الصحابة كانوا أهل حقّ، وسُنَّةٍ، وطاعةٍ، وعدلٍ، ومعروفٍ، ثم ظهر بعدهم عكس ذلك من الباطل والبدع، والمعاصي، والظلم، والمنكر، فبث الله تعالى في سائر البلدان رجالاً قلدهم سيوفا ماضيات تقطع أعناق المنكرين عليهم"(١).

الشبهة الثالثة: القول بجواز وقوع الكرامات فيه استواء للممتنع والواجب وقلب للحقائق وإبطال لها، وهذا يعتبر من قبيل السفسطة، يقول أبو محمد بن حزم (ت٤٥٦هـ) في تقرير هذه الشبهة: "وبقي ما عدا أمر الأنبياء عليهم السلام ــ يقصد الخوارق خلا المعجزة ــ على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لا من ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه، لأنه لم يقم برهان بوجود ذلك ولا صح به نقل، وهو ممتنع في العقل، ولو كان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها، ولكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسفسطائية على الحقيقة، ونسأل من جوز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل أحد غير هذين أم لا يجوز إلا لهذين فقط؟ فإن قال إن ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم. سألناهم عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس؟ ولا سبيل لهم إلى الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم إلا بالدعوى التي لا يعجز عنها أحد، وإن قالوا إن ذلك جائز أيضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسفسطائية حقاً ولم يثبتوا حقيقة وجاز تصديق من يدعى أنه يصعد إلى السماء ويرى الملائكة وأنه يكلم الطير ويجتني من شجر الخروب التمر والعناب وأن رجالاً حملوا وولدوا وسائر التخليط الذي من صار إليه وجب أن يعامل بما هو أهله إن أمكن أو أن يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه"(٢).

---

(١) جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء: أحمد فريد المزيدي، ص٣٦.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون رقم للطبعة، وبدون سنة الطباعة، ج٥، ص٣.



ويرد علي هذه الشبهة: بأن القول بعدم وجود دليل أو برهان على وقوع الكرامات قول غير صحيح ويخالف صريح القرآن وصحيح السنة والإجماع المنعقد في كل عصر ومصر، فالصوفية وغيرهم من أهل السنة أثبتوا جميعاً وقوع خوارق العادات لغير الأنبياء بما لا يدع مجالاً للإنكار أو الشك.

والكرامات ليست ممتنعة عقلاً؛ لأنه لا يترتب على وقوعها محال، لذلك لا نسلم بأن وقوع الكرامات فيه استواء بين الممتنع والممكن والواجب فضلاً عما بينها وبين غيرها من الخوارق من فروق جلية أقرها المعتبرين من أهل العلم من أئمة التصوف وغيرهم.

والفروق بين صاحب الفعل الخارق سواء كان ساحراً أو ولياً بينة جلية لا تخفي على أحد من العوام فضلاً عن أصحاب الفراسة من أهل العلم، وهذه الفروق لا لبس فيها والإقرار بها ليس سفسطة، فوقوع خوارق العادات من الجائزات العقلية، و "التجويزات العقلية لا تقدح في العلوم العادية"(١).

الشبهة الرابعة: كثرت ظهور الكرامات يخرجها عن خرق العادة حتى تصير عادة "فإذا جاز ظهور الكرامة على بعض الأولياء جاز ظهورها على الباقين، فإن كثرت الكرامات حتى خرقت العادة جرت وفق للعادة، وذلك يقدح في المعجزة والكرامة"(٢).

ويرد علي هذه الشبهة: بأنه من المسلمات لدى أهل العلم أن كثرت ظهور الفعل وحدوثه لا يغير من حكمه، فالكرامات مهما تكرر ظهورها وحدوثها لا يخرجها عن خرق العادة؛ لوجود قوانين وسنن في الكون ثابتة لا تتغير نحكم بها على موافقه الفعل للعادة أو عدمها، فالقول بأن كثرت الكرامات لكثرة الأولياء يخرجها عن كونها خارقة قول غير صحيح، فليس لكل الأولياء كرامات فضلا عن كونها كلها ليست على صورة واحدة، و الكرامات مبناها على الستر والإخفاء فلا تشتهر، لذلك لا نسلم أن كثرتها يخرجها عن كونها ناقضة للعادة. وحتى إن كثُر ظهور الكرامة على يد الولي فلن تخلو من الفائدة المرجوة منها "فالكرامة وإن

(١) ينظر: الكواكب الدرية: محمد عبد الرؤف المناوي، ص٧.
(٢) جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني، ص٢٢.

توالت على الولي حتى ألفها واعتادها، لا تخرجه عن طريق الرشاد ووجه السداد"(١).

الشبهة الخامسة: ظهور الكرامات على الولي يقطع على صحة ما في قلبه وهذا مخالف للشرع، يقول أبو محمد بن حزم (ت٤٥٦هـ): "صح أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لأسامة(٢) هلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذاً أم لا، فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة لوجب القطع على ما في قلبه وأنه ولي الله تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضي الله عنهم الذين ورد فيهم النص"(٣).

ويرد علي هذه الشبهة: بأن الشرع المطهر أمرنا أن نحكم على الناس بما يظهر عليهم، والنصوص في ذلك كثيرة، فالحكم على الولي بعد ظهور كراماته يكون على ظاهره، وليس على سبيل القطع بما فيه قلبه، فلنا الظاهر وليس لنا الباطن، والكرامات التي يجريها الله تعالى على يد الولي قد تكون مكراً من الله به واستدراجاً له "فالكرامة لا تقطع على ما في قلب أحد، وإنما نحسبه والله حسيبه، وقد تكون من قبيل الاستدراج وصاحبها لا يدرى، ومعلوم أنه ليس كل من ظهر

---

(١) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١٠٨.

(٢) روي الإمام مسلم بسنده عن أسامة بن زيد – رضي الله عنه - قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ » قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ » فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر، حديث رقم ١٥٨، ج١، ص٩٦

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ج٥، ص٨.

علي يديه كرامة خير ممن لم تظهر عليه، وقد يكون من هو أكمل ولاية منه ولا تأتيه لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته"(١).

الشبهة السادسة: لو جاز ظهور المعجزات على الصالحين لجاز ظهورها في السر لأن الغرض هو السرور والإكرام، وهو لا يختلف من أن يكون في السر أو في العلانية، ولو جاز ذلك لما أمكن معرفة صدق الأنبياء عند ظهورها عليهم، لأنا إذا جوزنا حصول ذلك في السر فهذا التقدير لم يكن حصوله خارقاً للعادة، وذلك يقدح في دلالة المعجزات بالكلية(٢).

ويرد علي هذه الشبهة: بأنه لا فرق بين وجود الكرامات سراً أو جهراً، فمن الصوفية من ذهب إلى جواز إعلان الكرامة، ووجود الكرامات وظهورها في العلانية ليس فيه تلبيس على العامة في صدق النبي عند ظهور المعجزة على يديه، لما بين النبي والولي من فروق لا لبس فيها ولا إشكال " فظهور الخارق للعادة على يد الصالحين يجوز أن يكون في السر ويجوز أن يكون في العلانية، ويجوز أن يُعلم الله من أجري على يديه الخارق للعادة ويجوز أن يصرف عقله عنه ولا يحس بكونه خارقاً للعادة إلا الذين يشاهدونه، ثم ما المانع من هذا وما علاقته بعدم معرفة صدق الأنبياء؟ فمن الممكن أن يخلق الله في قلب النبي علماً ضرورياً يعلم به كونه نبياً مرسل من ربه، إذن فكونه رسولاً ليس لإظهار المعجز بل لوجود الرسالة التي تحملها وواجب عليه بلاغها"(٣).

(١) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، ص١٠٧.
(٢) الكامل في الاستقصاء: تقي الدين النجراني، ص ٣٥٧.
(٣) كرامات الأولياء: د/ راشد محمد راشد، ص٤٣.



المبحث الرابع: مدى التلازم بين الولاية والكرامات وضوابط قبولها

باستقراء كتب التصوف وأئمته أو ما كُتب عنه من أبحاث ودراسات نلاحظ أن كلمة الكرامة أو الكرامات لا تكاد تُذكر إلا وقُرنت بكلمة الولي أو الولاية، فاللفظين لا يُذكر أحدهما إلا وقُرن بالآخر، وقد بدا ذلك جلياً على مدار الصفحات السابقة من هذا البحث، فالولي هو صاحب الكرامة التي يجريها الله ـ تعالى ـ على يديه، لذا تحتم علينا الحديث عن الولي عند الصوفية وتعريفه وعلاقته بالكرامة، وبيان مدي التلازم بينهما، وضوابط قبول الكرامات.

أولاً: الولاية

الولي لغة: الصديق والنصير والتابع المحب. والولي في أسماء الله تعالى هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها. والولاية، بالكسر: السلطان، وبالفتح: النصرة، يقال هم علي ولاية أي مجتمعون في النصرة(١).

الولي اصطلاحاً: من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان فهو فعيل بمعنى الفاعل، أو بمعنى: المفعول، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، والولي، هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات(٢).

(١) لسان العرب: ابن منظور، ج١٥، ص٤١١.
(٢) التعريفات: الجرجاني، ص ٢٥٤



وقريباً من التعريف السابق للولي يعرفه القشيري (ت ٢٥٦هـ)بقوله: "الولي له معنيان: إحداهما: فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه أمره الله تعالى: وهو يتولى الصالحين فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته.
والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجرى على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا بحب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء"(١).

وهذه التعريفات لم تخرج لم تخرج في معناها عما ذكره أهله السنة ـ على اختلاف طوائفهم ـ في تعريفهم للولي.

وذكر ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) أن الولاية على قسمين قسم عام لجميع المؤمنين وقسم خاص بأهل التصوف وحسب، حيث يقول: "الولاية على قسمين: ولاية عامة، وولاية عرفية خاصة:
الولاية العامة، هي التي ذكرها الحق تعالى: فكل من حقق الإيمان والتقوى؛ فله من الولاية على قدر ما حصَّل منها الولاية الخاصة خاصة بأهل الفناء والبقاء، الجامعين بين الحقيقة والشريعة، بين الجذب والسلوك مع الزهد التام والمحبة الكاملة، وصحبة من تحققت ولايته"(٢).

وكلام ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) السابق فيه تفرقة بين عموم المؤمنين وبين أهل التصوف، حيث ذهب إلى أن الولاية الخاصة لا تكون إلا فيهم لجمعهم بين

---

(١) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج٢، ص٤١٦.
(٢) البحر المديد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م، ج٣، ص٢٣٦.



الحقيقة والشريعة، ولأنهم هم ـ دون غيرهم ـ أهل الفناء والبقاء. وبما أن الولاية الخاصة لا تكون إلا لأهل التصوف، فقد قسموها إلى مراتب بعضها فوق بعض، وجعلوا الأولياء على درجات ذكرها ابن عربي (ت٦٣٨هـ) في الفتوحات المكية مرتبه على النحو التالي: أعلاهم الأقطاب، ثم الأئمة، ثم الأوتاد، ثم الأبدال، ثم النقباء وأخرهم النجباء(١).

ويؤكد ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) في تفسيره كلام شيخه ابن عربي في تقسيم الأولياء إلى درجات حيث يقول: " فقضاهن سبع طبقات، وهي دوائر الأولياء، دائرة الغوث، ثم دائرة الأقطاب، ثم الأوتاد، ثم النقباء، ثم النجباء، ثم الأبرار، ثم الصالحين. وأوحى في كل سماء، أي: في كل دائرة ما يليق بها من العبادة، فمنهم مَن عبادته الشهود والعيان، ومنهم مَن عبادته الفكرة، ومنهم الركوع والسجود، ومنهم التلاوة والذكر... إلى غير ذلك من أنواع الأعمال"(٢).

وبعد تقسيم الصوفية للأولياء وذكر درجاتهم نحوا منحى آخر في الولاية وهو الختم، فقد انتشرت عقيدة ختم الولاية عند الصوفية انتشاراً ذاع صيته، وأول من ذكر مصطلح ختم الولاية هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي (المتوفى نحو ٣٢٠ هـ) في كتاب له موسوم بهذا الاسم حيث عرض فيه "معنى الختم وسببه، ومن المستحق أن يكون خاتم الأولياء، وبأي صفة يستحق ذلك"(٣).

وبعد مرور ثلاثة قرون بعد الحكيم الترمذي جاء ابن عربي(ت٦٣٨هـ) وتناول

---

(١) ينظر: الفتوحات المكية: ابن عربي، ج٤، ص١٠١. وكشف المحجوب: الهجويري، ج٢، ص٤٤٨.

(٢) البحر المديد: ابن عربي، ج٦، ص٥٠٣.

(٣) ختم الأولياء: محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، تحقيق عثمان إسماعيل يحي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ص١٦١ـ١٦٢.



فكرة ختم الولاية[1] مرة أخري وتوسع فيها ثم صار على خطاه من أتوا بعده وذهبوا مذهبه في ختم الولاية.

ثانياً: العلاقة بين الكرامات والولاية

علي الرغم من كثرة الكرامات المسرودة في كتب الصوفية إلا أن غالبيتهم لا يرون وجود تلازم بين الكرامات والولاية، فتارة تكون الكرامات ثمرة للولاية ودليل على صدقها إن وُجدت، بينما لا يكون عدم حصولها دليل على عدم الولاية وفى هذه الحالة لا تكون الكرامات شرطاً في الولاية، ويوضح ابن قنفذ القسنطيني (ت٨١٠هـ) هذا المعنى فيقول: "واعلم أن الكرامة ليست من شرط حصول الولاية، فقد تحصل الكرامة لكن إن وقعت للولي فهي دالة على صدق عبادته وعلو مكانته بشرط اتباعه لحقيقة ما أمر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلا فهي خذلان من الشيطان... وقد ظهر أنه لا يستدل على الولاية بالكرامة لاحتمال أن تكون من الشيطان، وإنما يستدل على صدق الكرامة بصحة الولاية"[2]. فصدق الكرامات متوقف على صحة الولاية، ولا تكون الولاية صحيحة إلا إذا كان صاحبها ملتزماً بالشرع، ومطيعاً لأمر الشارع ولا يخالف نهيه، فمن كان هذا حالة فهو ولي، وما يظهر عليه من كرامات فهي كرامات صادقة، أما من كان حاله

(١) ينظر: الفتوحات المكية: ابن عربي، ج٤، ص١٠١.
(٢) أنس الفقير وعز الحقير: أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى (المتوفي ٨١٠ هجرية)، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، الناشر المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ص٣.



خلافاً لذلك فهو ليس بولي لأنه على غير الاستقامة، وما يظهر علي من خوارق ليس بكرامات، لذلك يقول الشيخ أبو مدين أبو التلمساني(ت٥٩٤هـ): "إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات فلا تلتفتوا إليه ولكن انظروا كيف هو عند امتثال الأمر والنهى"(١).

والكرامات ــ عند الصوفية ــ ليست المعيار الذي يفاضلون به بين الأولياء بعضهم البعض، فهي ليست دليل على أن الولي الذي ظهرت على يديه أفضل من غيره من الأولياء الذين لم تظهر لهم كرامات، فقد يحصل للمفضول ما لا يحصل للفاضل، ويوضح الإمام الجنيد (ت٢٩٨هـ) هذا المعني بقوله: "قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقينا"(٢). ويزيد اليافعي (ت٧٦٨هـ) المعني وضوحاً فيقول: "لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة منهم، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته، وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى فكل من كان أقوى يقيناً كان أفضل"(٣).

و الكرامات ـ تبعاً لرأي بعض أئمة الصوفية ــ لا تكفي أن تكون علامة على الولاية لأنها لا تكون إلا في الظاهر، لكن الدليل على الولاية إنما يكون بما يجده الولي في داخله من حسن سريرته وطهارة قلبه ويكون ذلك هو الثمرة المرجوة من الولاية، يقول الكلاباذي (ت٣٨٠هـ): "وليست اعلام الولاية من جهة حلية الظواهر وظهور ما خرج من العادة لهم فقط لكن أعلامها إنما تكون في السرائر بما يحدث الله تعالى فيها مما يعلمه الله تعالى ومن يجده في سر"(٤).

---

(١) شرح الحكم الغوثية: أحمد بن إبراهيم بن علان، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الناشر دآر الآفاق العربية، القاهرة، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة، ص٢٨٠.
(٢) الرسالة القشيرية: الإمام القشيري، ج١، ص٣٢٠.
(٣) نشر المحاسن الغالية: عبد الله بن أسعد اليافعي، ص٥٨.
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف: الكلاباذي، ص٧٩.

ولأن الصوفية لا يعتبرون الكرامات شرطاً في الولاية وليست دليلاً على ثبوتها، ولا يعتقدون أفضلية من ظهرت عليه على من لم تظهر عليه، فإنهم يشددون النكير ـ على من يجعل الكرامة غايته ـ فيقولون: "الملتفت إلى الكرامات كعابد الأوثان، فإنه إنما يصلى ليرى كرامة"(١).

وما ذهب إليه الصوفية من العلاقة بين الكرامات والولاية جاء موافقاً لمذهب باقي طوائف أهل السنة الذين اتفقوا على أنه "لا تلازم بين الولاية والخوارق، فقد يكون الشخص من أولياء الله المقربين، وليس له من الخوارق شيء"(٢)، كما أن الكرامات لا دخل لها في الأفضلية "فليس ذو الكرامات أفضل من غيرهم على الإطلاق بل قد تنبئ الكرامة عن ضعف يقين أو همة فتعجل لمن أريد به عناية حتى يزول عنه كل من ذينك أو أحدهما بل قد تقع الكرامة لمحب أو زاهد ولا تقع لعارف مع أن المعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين وأفضل من الزهد عند الكل، لأن الزهد من أوائل المقامات والمحبة أول الأحوال الناشئة عن مجاوزة المقامات، ويؤيد ذلك قول أبي يزيد (ت٢٦١هـ) ـ رضي الله عنه ـ العارف طيار والزاهد سيار وقال غيره وأنى يلحق السيار الطيار وقال ذو النون المصري (ت٢٤٥هـ) الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين فعلم أنه لا دخل للكرامة في الأفضلية وإنما منشأ الأفضلية قوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى فكل من كان أقوى يقينا وأكمل معرفة كان أفضل"(٣).

---

(١) التشوف إلى رجال التصوف: يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (ت٦٢٧هـ)، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص٢١٦.

(٢) الولاية عند الصوفية بين الحق والباطل: شريفه فؤاد مرعي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم بجامعة المنيا، العدد الثاني والعشرون، المجلد الرابع، ٢٠١٠م، ص١٨١٩.

(٣) الفتاوى الحديثية: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر دار الفكر، بدون رقم للطبعة وسنة للطباعة، ص٢٢٠.

ثالثاً: ضوابط قبول الكرامات

من المعلوم أن الكرامات من جملة خارق للعادة، لأنها تقع خلافاً للقوانين الطبيعية وخلافاً للسنن الكونية التي تسير على وفقها الموجودات، وعلى الرغم من ذلك فالعقل لا يجد محال في وقوعها وقبولها لأنها لا تصادمه، ولا يعنى ذلك أن نقبل كل ما يروى من كرامات، وأن نرددها مع من يرددها دون تثبت من ثبوتها وصحتها، فإثبات الكرامات وقبولها يجب تقيده بقيود، وضبطه بضوابط توضح حقيقة الأمر وتمنع من التباسه بغيره، والقوانين الطبيعية لا تصلح أن تكون ميزاناً ومعياراً لقبول الكرامة، أما الذي يصلح أن يكون الميزان والمعيار والقسطاس المستقيم لقبول الكرامة هو الشرع، فيُقبل من الكرامات مالا يخالفه ويُرد منها ما خالفه. لذلك فإن االأمور التي يجب علينا مراعاتها واعتبارها ضوابط لقبول الكرامة تتمثل في الآتي:

الضابط الأول: ثبوتها بالسند السليم والرواية الصحيحة، فسلامة السند وصحة الرواية هما أول الأمور المعتبرة لقبول الكرامات؛ فحكاية الكرامة هي من قبيل الرواية التي تتطلب النظر في إسنادها وثبوت صحتها، شأنها شأن كل المرويات، ولهذا فإنه يجب النظر في كثير مما روى من الكرامات عن الأولياء وتطبيق المعايير العلمية الدقيقة على رواتها لقبولها أو ردها؛ لأن تضارب الروايات دليل على الكذب. والإقرار بجواز الكرامة ووقوعها لا يعنى إطلاقاً قبول كل ما يحكى دون تثبت، ولا يعنى كون الكرامة أمراً خارقا للعادة قبول كل ما يحكى بخصوصها، ولهذا فلا يجب قبول ذلك كله وإيراده ولا يجب رفض ذلك كله ورده، ولكن يجب نقده وتمحيصه والتأكد من سلامة السند وصحة الرواية.

ولأهمية ذكر السند وإثبات صحة الكرامات اتبع كثير من القدماء هذا المنهج في مؤلفاتهم كالإمام هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت ٤٣٨هـ) في كتابه كرامات أولياء الله عز وجل(١)، والشيخ الحسن بن محمد بن الحسن الخلال

(١) ينظر: كرامات أولياء الله عز وجل: هبة الله بن الحسن اللالكائي.

(ت٤٣٩هـ) في كتابه كرامات الأولياء(١)، ومن المعاصرين الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري (ت١٩٩٣م) في كتابه الحجج البينات في اثبات الكرامات(٢).

الضابط الثاني: ألا تكون فعلاً مخالف للشرع، فالأولياء لم ينالوا كراماتهم إلا باتباعهم للشرع الحنيف، فكان لازماً "أن الكرامة نفسها لا تكون معصية لله ولا مخالفة للشرع، فإن الكرامة إذا كانت لنصرة الدين وإعلاء كلمة الحق، كان من المستحيل أن تكون هي ذاتها مخالفة للشريعة الإسلامية"(٣). فموافقة الكرامة للشرع متمثلاً في فعل الأوامر واجتناب النواهي من أهم معايير قبول الكرامة أو ردها، لذلك فإن "كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة، فلا يصح ردها ولا قبولها إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة، فإن ساغت هناك، فهي صحيحة مقبولة في موضعها، وإلا لم تقبل"(٤).

الضابط الثالث: أن تكون في زمن التكليف، مربنا الحديث في المبحث الأول عند تعريف الإمام القشيري (ت ٢٥٦هـ) بالكرامة بأنها لا تكون إلا في أيام التكليف ظاهرة على موصوف بالولاية، وتخصيصها بزمن التكليف يعني أنها لا تكون لمن دون البلوغ، فلا معني لصدور الكرامات من الأطفال باستثناء ارهاصات الأنبياء.

---

(١) ينظر: كرامات الأولياء: الحسن بن محمد بن الحسن الخلال، تحقيق أسامه الشريف، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

(٢) ينظر: الحجج البينات في إثبات الكرامات: عبد الله بن صديق الغماري، دار التأليف للنشر، القاهرة، بدون رقم للطبعة وسنة للطباعة.

(٣) الولاية عند الصوفية: شريفه فؤاد مرعي، ص١٨٠٤.

(٤) الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٨١



الخاتمة

١- الأدلة النقلية التي استدل بها الصوفية على ثبوت الكرامات هي عينها التي استدل بها المتكلمون بها، وكذلك المفسرون والمحدثون والأصوليون، وسبب ذلك أن الصوفية لما كانت طائفة من طوائف أهل السنة لم يخرجوا في استدلالهم عن الأدلة المعتمدة عندهم، وذهبوا مذهبهم فيها، فلم يخرقوا إجماعهم عليها، وهو نفس الحال في مذهب الصوفية في حكم الكرامات والفرق بينها وبين غيرها من خوارق العادات.

٢- الكرامات نوعان: حسية ومعنوية، ووجود كل نوع من أنواع الكرامات متوقف على الطريق ونوع السلوك الذي يسلكه الولي في طريقه إلى الله، فالجزاء يكون من جنس العمل، فإن كان الطريق الذي سار فيه السالك إلي ربه ــ عز وجل ــ هو كبح جماح نفسه وشهواتها والسيطرة على حواسه وتقييدها بالشرع كان الكرامات التي يجريها الله ــ تعالى ــ على يديه كرامات حسية، أما إذا سلك الولي طريقاً غير حسي يقوي به يقينه ويزيد به من خشيته لله ويصدق فيه توكله علي الله كانت الكرامات التي يجريها الله ــ عز وجل ــ على يديه كرامات معنويه.

٣- الكرامات ليست المعيار الذي نفاضل به بين الأولياء بعضهم البعض، فهي ليست دليل على أن الولي الذي ظهرت على يديه أفضل من غيره من الأولياء الذين لم تظهر لهم كرامات، فقد يحصل للمفضول ما لا يحصل للفاضل وما ذهب إليه الصوفية من العلاقة بين الكرامات والولاية جاء موافقاً لمذهب باقي طوائف أهل السنة الذين اتفقوا على أنه لا تلازم بين الولاية والخوارق، فقد يكون الشخص من أولياء الله المقربين، وليس له من الخوارق شيء.

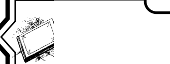
٤- ثبوت الكرامات بالسند السليم والرواية الصحيحة، وخلوها من المخالفات الشرعية، والمحالات العقلية، ووقوعها في زمن التكليف هي ضوابط قبول الكرامة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

١. أبكار الأفكار: سيف الدين الآمدى، تحقيق أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، بدون رقم للطبعة، ٢٠٠٣م.
٢. أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٣. أشرف الوسائل في تحقيق أدق المسائل: السيد محمد أبو الهدى الصيادي، تحقيق عبد الكريم سليم عبد الباسط، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.
٤. أصول الدين: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، مطبعة الدولة، استانبول، تركيا، الطبعة الأولى، ١٩٢٩م.
٥. الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق عبد الله محمد الخليلي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٦. أنس الفقير وعز الحقير: أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى(ت٨١٠هـ)، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، الناشر المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.
٧. إيقاظ الهمم في شرح الحكم: أحمد بن محمد بن عجيبة، تقديم ومراجعة أحمد حسب الله، الناشر دار المعارف، بدون رقم للطبعة، ١٩٨٣.
٨. البحر المديد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م.
٩. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.



١٠. تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، الناشر دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ.
١١. تحفة المريد علي جوهرة التوحيد: الشيخ إبراهيم الباحوري، تحقيق د علي جمعه محمد الشافعي، الناشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
١٢. التشوف إلى رجال التصوف: يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (ت٦٢٧هـ)، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
١٣. التصوف الثورة الروحية في الإسلام: أبو العلا عفيفي، الناشر مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، بدون رقم للطبعة، ٢٠٢٠م.
١٤. التصوف: ماسينيون والشيخ مصطفى عبد الرازق، الناشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
١٥. التعرف لمذهب أهل التصوف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي (ت٣٨٠هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.
١٦. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق وتصحيح وضبط جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
١٧. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.
١٩. جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، بدون رقم للطبعة، ١٩٩١م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.
٢١. جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء: أحمد فريد المزيدي، دار الكرز للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٢. الحجج البينات في إثبات الكرامات: عبد الله بن صديق الغماري، دار التأليف للنشر، القاهرة، بدون رقم للطبعة وسنة للطباعة.
٢٣. حقائق عن التصوف: عبد القادر عيسى، دار العرفان، حلب، سوريا، الطبعة السادسة عشر، ٢٠٠٧م.
٢٤. حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة: عواد بن عبد الله المعتق، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٣٤، العدد ١١٥، ٢٠٠٢م.
٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٢٦. ختم الأولياء: محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، تحقيق عثمان إسماعيل يحي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.
٢٧. دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعه جي و عبد البر عباس، الناشر دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
٢٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، المحقق خليل شحادة، الناشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.
٢٩. الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، الناشر دار المعارف، القاهرة.

٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣١. روض الرياحين في حكايات الصالحين: عبد الله بن أسعد اليافعي، مكتبة زهران، القاهرة، بدون رقم للطبعة، وبدون سنة الطباعة.
٣٢. السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي: عبد السلام السكري، الناشر الدار المصرية للنشر والتوزيع، بدون رقم للطبعة، ١٩٨٩م.
٣٣. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
٣٤. شرح المقاصد: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت٧٩١هـ)، الناشر دار المعارف النعمانية، باكستان، بدون رقم للطبعة، ١٩٨١م.
٣٥. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٣٦. الفتاوى الحديثية: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، الناشر دار الفكر، بدون رقم للطبعة وسنة للطباعة.
٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت، بدون رقم للطبعة، ١٣٧٩هـ.
٣٨. الفتوحات الإلهية: أحمد بن محمد بن عجيبة، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، طبعة عالم الفكر، القاهرة، مصر، رقم للطبعة وسنة الطباعة.
٣٩. الفتوحات المكية: محيي الدين بن عربي، مطبعة الميمنة، مصر، بدون رقم للطبعة، ١٣٢٩هـ.



٤٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ)، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون رقم للطبعة، وبدون سنة الطباعة.
٤١. الكافي: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
٤٢. الكامل في الاستقصاء فيما بلغنا من كلام القدماء: مختار بن محمود العجالى الشهير بتقي الدين النجراني، تحقيق د/ السيد محمد الشاهدة، الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٩٩٩م.
٤٣. كرامات الأولياء: الحسن بن محمد بن الحسن الخلال، تحقيق أسامه الشريف، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٤٤. كرامات الأولياء عند المعتزلة: د/ راشد محمد راشد سليمان، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد السادس والعشرون، ٢٠٠٧م.
٤٥. كرامات الأولياء مفهومها ووقوعها: عبد الله بن أحمد بن عبد الله الغامدي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٦٠، ٢٠١١م.
٤٦. كرامات الأولياء والأئمة: حيدر محب، بحث منشور على شبكة الأنترنت بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٧م.
٤٧. كرامات أولياء الله عز وجل: هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق أحمد سعد الحمان، الناشر دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ه.
٤٨. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي (ت١١٩١هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٤٩. كشف المحجوب: أبو الحسن على بن عثمان الجلابي الهجويري، ترجمة وتعليق إسعاد عبد الهادي قنديل، الناشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، بدون رقم للطبعة، ٢٠٠٧م.



٥٠. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: محمد عبد الرؤف المناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.
٥١. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر دار صادر، بيروت الطبعة الأولى، بدون سنة الطباعة.
٥٢. لطائف المنن: ابن عطاء الله السكندري، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، طبعة دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦هـ.
٥٣. اللمع: أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود – طه عبد الباقي سرور، دار الكتبة الحديثة، مصر، بدون رقم للطبعة، ١٩٦٠م.
٥٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٦٩.
٥٥. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد الناشر المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.
٥٦. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٧. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ) المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون سنة للطباعة.
٥٨. المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق الدكتور محمود الخضير والدكتور محمود قاسم، مراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، وإشراف الدكتور طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.



٥٩. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٦٠. مفهوم الكرامة الصوفية: صالح علي عبد النبي، رسالة ماجستير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الكيب الغربى، جنوب إفريقيا، ٢٠١٩م.
٦١. المنقذ من الضلال: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، الناشر دار الكتب الحديثة، مصر، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.
٦٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٦٣. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٦٤. المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق د/عبد الرحمن عميرة، الناشر دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٦٥. نشر المحاسن الغالية في فضائل المشايخ الصوفية: عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
٦٦. نور التحقيق في صحة أعمال الطريق: حامد إبراهيم محمد صقر، مطبعة دار التأليف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.
٦٧. الولاية عند الصوفية بين الحق والباطل: شريفه فؤاد مرعي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم بجامعة المنيا، العدد الثاني والعشرون، المجلد الرابع، ٢٠١٠م.
٦٨. الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية: محمد خير حسن العمري، رسالة ماجستير بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن، ١٩٩٩م.
٦٩. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم للطبعة وسنة الطباعة.

فهرس محتويات البحث

